الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

Centre Universitaire
AbdelhafidBoussouf Mila

المركز الجامعي
عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

معهد: الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل: .....

www.centre-univ-mila.dz

مسائل الصرف والنحو في كتاب "البرهان" للكرماني وأثرها في توجيه معنى المتشابه اللفظي

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل.م.د)

إعداد الطالب (ة): نجاة مشيتوة

إشراف الأستاذ الدكتور: سليم عواريب

الشعبة: دراسات لغوية

التخصص: لسانيات عربية

رقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	مؤسسة الانتماء	الصفة
1	وردة مسيلي	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف_ميلة	رئيسا
2	سليم عواريب	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف_ميلة	مشرفا و مقرّرا
3	خير الدين هبال	أستاذ محاضر قسم أ	جامعة محمد بوضياف_المسيلة	ممتحنا
4	عبد الهادي حمر العين	أستاذ محاضر قسم أ	المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف_ميلة	ممتحنا
5	عز الدين هبيرة	أستاذ محاضر قسم أ	جامعة قسنطينة 1	ممتحنا
6	عمار بشيري	أستاذ محاضر قسم أ	المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف_ميلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2023/2022م

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

[سورة ص:28]

شكر وعرفان

قال تعالى:﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[إبراهيم7]

أشكر الله تعالى وأحمده حمدا كثيرا على توفيقي في إتمام هذا العمل، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أتقدم بشكري وتقديري لكل من كان سندا لي بعد الله تعالى في إنجاز هذا العمل؛ فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله:

أقدّم شكري جُلَّه لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور *سليم عواريب* الذي احتضن هذا العمل بصدر رحب، ولم يبخل يوما بتوجيهاته وتصويباته ساعيا لإخراجه على الوجه الصحيح.

والشكر موصول للأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بمناقشة هذه الأطروحة، وعلى توجيهاتهم التي يتفضلون بتقديمها.

كما أشكر جميع أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها بالمركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف _ميلة.

وأسأل الله التوفيق والسداد.

مـــقــدمـــــة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة السلام على سيدنا محمد أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

ظهرت علوم اللغة العربية نتيجة للاهتمام بالقرآن الكريم، والسعي لفهمه والحفاظ عليه، ثم بعد ذلك للعناية أيضا باللغة فهي سجّل العادات فيها مآثر العرب وعاداتهم وحضارتهم، لذا نجد الصلة وثيقة بين علوم اللغة العربية وعلوم القرآن، فقد بدأ الاهتمام بتحديد دلالة الألفاظ ومعانيها انطلاقا مما وجد في القرآن الكريم من ألفاظ مستعصية لاستنباط الأحكام الشرعية منها، لأن اللفظ والمعنى هما السبيل لفهم النص القرآني وسبر أغواره، فكانت اللغة العربية في خدمة القرآن الكريم، وكان القرآن الكريم منهلا تستمد منه اللغة قواعدها وسننها.

وهكذا كانت العلاقة بين علوم اللغة العربية وعلوم القرآن علاقة تكامل وترابط معرفي، خاصة منها علم المتشابه اللفظي وتوجيهه فهو أكثرها التصاقا بعلوم اللغة لما يبحث فيه من العلاقة بين اللفظ والمعنى الذي يحيل عليه؛ إذ يعنى برصد الآيات المتشابهات الألفاظ وبيان ما بينها من اختلاف على مستوى المفردات والتراكيب، ومن ثمة بيان اختلافها في المعاني فهو إذن علم يجمع بين الدراسات القرآنية والدراسات اللغوية (الأصوات، الصرف النحو البلاغة، الدلالة...).

وقد أثار اهتمامي هذا العلم الدقيق فأردت أن أجعله موضوعا لبحثي وذهبت أبحث عن أهمّ ما ألّف فيه من كتب، فوجدت الكثير من المصنفات التي انصبّ اهتمام أصحابها على المتشابه اللفظي جمعا وتوجيها، منها من المؤلفات القديمة "درة التنزيل وغرة التأويل" للخطيب الإسكافي، "البرهان في توجيه متشابه القرآن" للكرماني، و"ملاك التأويل" للغرناطي، و"فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن" لزكريا الأنصاري، ومن المؤلفات الحديثة وجدت:

كتاب "المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية" لصالح الشثري، و"من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم" لمحمد بن علي الصامل، وكتاب: "التشابه اللفظي للآيات حكم وأسرار_فوائد وأحكام" لعبد الله بن محمد الطيار وغيرها، لكن ما لفت انتباهي من بين تلك المصنفات: كتاب "البرهان في توجيه متشابه القرآن" لبرهان الدين الكرماني؛ لما تميز به عن غيره من المصنفات بميزة الإيجاز والاختصار، فالكرماني قليلا ما يعلل توجيهاته للآيات المتشابهات الألفاظ، مما أثار فضولي وجعلني أسعى للكشف عن أسرار توجيهاته الصرفية والنحوية، فاخترته وأردت أن يكون مدونة لبحثي هذا، ثم إن رغبتي في اكتشاف كيفية عمل القضايا الصرفية والنحوية في تحصيل وتحقيق المعاني في القرآن الكريم جعلتني أختار أن يكون عنوان البحث: "مسائل الصرف والنحو في كتاب "البرهان" للكرماني وأثرها في توجيه معنى المتشابه اللفظي". وهكذا أستطيع أن أنجز دراسة تجمع بين اللغة والقرآن الكريم.

وتظهر العلاقة بين علمي اللغة(النحو والصرف) وعلم المتشابه اللفظي في: توجيه الآيات المتشابهات إلى معانيها عن طريق تفكيكها إلى تراكيب نحوية وبنيات صرفية كلما تغيرت هذه البنيات والتراكيب تغير معنى الآية.

وكما هو معلوم فإن الكرماني نبغ في علوم اللغة والدين وهذا ما ساعده على الخوض في توجيه آيات المتشابه اللفظي، ونلحظ ذلك النبوغ في طريقة تعرضه للمسائل الصرفية والنحوية والاعتماد عليها في تأويل الألفاظ والتراكيب القرآنية المتشابهة، دون ذكر للقضية المعتمدة في تحليل الآيات وتوجيهها.

وقد كان وراء اختياري لهذا الموضوع أسباب عدة أولها: تعلقه المباشر بالقرآن الكريم لفظًا ومعنى؛ إذ كنت على رضا تام بالبحث فيه حبا له، وكذا كون الدراسات السابقة لم تعلل ما تعلق بقضايا الصرف والنحو تعليلات نحوية وإنما اعتمد أصحابها في جلّ تعليلاتهم لها على السياق.

وحتى يمكنني الولوج إلى مضامين الموضوع يطرح البحث الإشكالية التالية:

ما أثر المسائل الصرفية والنحوية في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القرآن الكريم من خلال كتاب "البرهان" للكرماني؟

والتي يندرج تحتها مجموعة من التساؤلات؛ منها:

_ ما أبرز القضايا الصرفية والنحوية المتضمنة في كتاب "البرهان"؟

_ كيف تعمل هذه القضايا على تحديد المعنى العام للآيات القرآنية؟

_ ما منهج الكرماني في التوجيه من خلال كتاب "البرهان"؟

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة رأيت أن يكون البحث في ثلاثة فصول بعد المقدمة:

أما الفصل الأول فهو فصل نظري موسوم: "المتشابه اللفظي وكتاب "البرهان" لبرهان الدين الكرماني" جاء للتعريف بالمدونة وصاحبها، وتعريف المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وصوره، وذكر أسباب التأليف فيه وأهميته، وأهم الكتب المؤلفة في جمعه وفي توجيهه.

وأما الفصلان الآخران فهما الجانب التطبيقي من البحث:

خصصت الفصل الثاني الموسوم: "مسائل الصرف في كتاب "البرهان" للكرماني وأثرها في توجيه معنى المتشابه اللفظي" لجمع القضايا الصرفية المتناثرة في كتاب "البرهان" وتصنيفها في مباحث مقسمة إلى: مبحث الصيغة؛ وخصص لدراسة العلاقة بين صيغة الكلمة ومعناها، وبيان كيف أن ذلك الاختلاف النسبي بين الكلمتين يولد اختلافا بينهما في المعنى، مبحث التذكير والتأنيث؛ وجاء لجمع ما تفرق من ألفاظ متشابهة في بنيتها مختلفة من حيث

تذكيرها وتأنيثها ومعانيها، ومبحث التعيين؛ حاولت في هذا المبحث إظهار العلة من تعريف بعض الألفاظ بالأداة وتنكيرها بين الآية وشبيهتها في القرآن الكريم من خلال ما ورد في كتاب "البرهان" للكرماني.

في حين خصصت الفصل الثالث الموسوم: "مسائل النحو في كتاب "البرهان" للكرماني وأثرها في توجيه معنى المتشابه اللفظي" لدراسة القضايا النحوية في المدونة والمقسمة إلى أربعة مباحث هي: مبحث الأداة؛ سعيت فيه لإيضاح الفرق الدلالي بين استعمال الأداة مكان الأخرى في الآيات المتشابهات اللفظ، والمبحث الثاني هو مبحث الذكر والحذف؛ حاولت فيه الكشف عن المقاصد الدلالية والبلاغية من وراء ذكر الألفاظ وحذفها، ومبحث التقديم والتأخير؛ الذي بحثت فيه عن توجيه الآيات المتشابهات في اللفظ والتي حصل أن تقدم في واحدة منها لفظ أو تركيب تأخر في الأخرى، وذلك انطلاقا مما توفرت عليه المصادر النحوية من قواعد تعينني على تحصيل المعنى. ليأتي بعده المبحث الأخير مبحث التوكيد؛ حاولت في هذا المبحث جمع الآيات المتشابهات الألفاظ التي اختلفت نسبيا فيما بينها من حيث التوكيد وعدمه مستعرضة العلة والمعنى المقصود من وراء ذلك.

ثم تأتي خاتمة البحث وزبدته ففيها أبرزت مجمل ما كُلّل به البحث من نتائج.

وفي حدود ما وقع بين يديّ وما بحثت عنه من مصنفات في هذا الموضوع لم أجد دراسة تطرقت إليه؛ إذ لم أجد بحثا تناول هذا الجانب اللغوي الخاص بالصرف والنحو وأثرهما في تحديد معاني المتشابه اللفظي من خلال كتاب "البرهان في توجيه متشابه القرآن" للكرماني فقد وجدت من الدراسات السابقة لهذا الكتاب مذكرة ماجستير بعنوان: "أثر السياق في التركيب القرآني من خلال كتاب البرهان في توجيه متشابه القرآن لمحمود بن نصر بن حمزة الكرماني" لفضيلة عظيمي، والذي تناولت فيه الباحثة قضايا صرفية ونحوية لكنها اقتصرت على السياق في تعليلاتها، ولم تعرض لآراء النحاة في تفسير مسائلها وتوجيهاتها، وكان

أيضا من بين الدراسات السابقة لموضوع توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم أطروحة دكتوراه موسومة: "المباحث اللغوية في كتاب ملاك التأويل للغرناطي وأثرها في توجيه المعنى" لمهدي عز الدين شنين وهذا البحث يختلف عن بحثي من حيث المدونة المدروسة، وكذا من حيث اتساعه فقد خصه صاحبه بدراسة جميع المباحث اللغوية، مما يعني اقتصاره على أهم المسائل الصرفية والنحوية وليس كلها، لأن البحث لم يكن ليسعه حتى يجمعها، وأشير إلى أني لم استعن به في بحثي هذا.

فكان الهدف من هذا البحث بيان الصلة والأسباب الخفية بين علمي (الصرف والنحو) والمعنى تلك الصلة التي لم نكد نجدها في كتب وأبحاث الدارسين المحدثين؛ إذ معظم الدراسات تقتصر على بيان أبنية الكلمة وصيغها الأصلية والعارضة، ومعرفة أصول تكوين الجملة وقواعد إعرابها، وقد غفلوا عن مقاصد المتقدمين من دراسة علوم اللغة والتي اهتمت بالمعنى وتأديته، فالنحو لا يقف عند الإعراب والبناء فحسب بل يتجاوز ذلك إلى تحقيق المعنى وتبليغه. كما أن طريقة الكرماني المختصرة في توجيه المتشابه اللفظي وعدم استعراضه للمسائل الصرفية والنحوية جعلني أهدف من خلال هذا البحث إلى استخراج تلكم المسائل من مصادرها النحوية واستعراضها وبيان كيفية تأثيرها على المعنى واختلافاته.

ويكتسب البحث أهميته من خلال ما يحصله من الدربة على حفظ القرآن الكريم عن طريق التفريق بين معاني الآيات المتشابهات لفظا؛ فإن استطاع الحافظ التفريق بين المعاني فإنه يستطيع حفظ الآيات دون أن يحصل له التباس في موضع الآية من السورة، كما تكمن أهمية الموضوع في إبراز التنوع في السمات اللغوية المستعملة في النظم القرآني لتحقيق أغراض دلالية ومقاصد بلاغية.

وقد فرضت علي طبيعة الموضوع أن يكون المنهج المعتمد منهجا وصفيا تحليليا؛ يقوم على شرح وتحليل المعطيات على ضوء ما توفره كتب النحو والمتشابه اللفظي تحليلا موضوعيا قصد استنباط القضايا والأحكام.

أما عن منهجية الدراسة فقد كانت كما يلي:

1. تصنيف القضايا الصرفية والنحوية في مباحث وفق تقسيم كبير يضم المسائل المتقاربة لتسهيل تصنيف الآيات المتشابهة الألفاظ.

2. الاعتماد في استخراج الآيات على ترتيب السور حسب ورودها في المصحف الشريف بداية بسورة الفاتحة وختاما بسورة الناس.

3. استخراج الآيات المتشابهة في اللفظ والمشتملة على مسألة صرفية أو نحوية ظاهرة أو مستترة من السورة القرآنية، ثم تصنيفها في المبحث الخاص بها.

4. العودة أولا إلى المصادر اللغوية التي تتحدث عن القضية الصرفية أو النحوية المتضمنة في الآية، واستخراج قاعدتها النحوية، ثم العودة إلى كتب توجيه المتشابه اللفظي وعلى رأسها كتاب "البرهان" وكتب التفسير، والمقاربة بين ما ورد في المصادر وربطها بالمعنى للوصول إلى توجيه مقنع للمتشابهات.

5. ثم أنتقل إلى السورة التي بعدها وأستخرج ما فيها من مسائل بالطريقة نفسها.

هذا وكان زادي في إنجاز هذا البحث اعتمادي على مجموعة من المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم والمدونة المدروسة (أشير إلى أن النسخة التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة بتحقيق عبد القادر أحمد عطا وهي الطبعة الأولى عام 1406هـ/1986م لدار الكتب العلمية بلبنان) من بينها:

المعاجم؛ وذلك من أجل التأصيل للمادة اللغوية ك: "لسان العرب" لابن منظور، و"العين" للفراهيدي، و"مقاييس اللغة" لابن فارس.

الكتب؛ ومنها: المصادر اللغوية، نحو: "الكتاب" لسيبويه، و"الخصائص" لابن جني، و"الفعل أبنيته وزمانه" لإبراهيم السامرائي. وكتب المتشابه اللفظي وتوجيهه، نحو: "درة التنزيل وغرة التأويل" للإسكافي، و"البرهان في علوم القرآن" للزركشي، و"الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي.

وكأي بحث فإن هذه الدراسة لا تخلو من الصعوبات وهي تلك التي قد يجدها أي باحث في علوم القرآن، كونه يتعلق بكلام الله تعالى فلا بد على الباحث فيه من سعة الاطلاع على كتب التفسير حتى يتمكن من إصدار الأحكام، كما وجدت صعوبة في الكشف عن القضايا النحوية والصرفية في كتاب "البرهان" لما تميز به من شدة الإيجاز والاختصار.

وفي الأخير أشكر الله تعالى الذي لولا فضله ما تم هذا العمل ولا وجد، وأقدم شكري وامتناني لأستاذي المشرف: الأستاذ الدكتور سليم عواريب فقد شرّفني بإشرافه على هذا البحث، ولم يبخل علي بتوجيهاته وتصويباته السديدة، وأدعو الله عز وجل أن يكون عونا له كما كان عونا لي، كما أشكر كل ما ساعدني في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد والحمد لله رب العالمين.

نجاة مشيتوة في: 01 أكتوبر 2022م.

الفصل الأوّل:

المتشابه اللّفظي وكتاب "البرهان" لبرهان الدّين الكرماني

تمهيد:

لعلّ أهم ما يكشف روعة الأسلوب القرآني وجانبا من إعجازه هو ما يتعلق بألفاظه وتراكيبه؛ إذ عجز العرب وهم أرباب البيان عن الإتيان بسورة من مثله، بل عجزوا على أن يأتوا بآية من مثله، وكان عجزهم هذا اعترافا منهم بأن القرآن الكريم في أعلى مستويات الإعجاز والبلاغة والبيان، ومما لا شك فيه أن المتشابه اللفظي في القرآن الكريم مظهر من مظاهر الإعجاز البياني، وإن ورود التركيب اللغوي في آية من سورة ما مشابه لتركيب آخر في آية أخرى من سورة أخرى، ومختلف عنه في المعنى لأمر مثير للبحث والتدبر، وهو ما ذهب إليه ثلة من القراء والعلماء رحمهم الله، فقاموا بجمع تلك الآيات وعرضها بطريقة تسهّل على حافظ القرآن حفظه وتبعده عن الالتباس، ثم ظهرت طائفة من المشككين في عظمة القرآن الكريم؛ وهم الذين اتخذوا من المتشابهات اللفظية سبيلا للطعن فيه، فظهر من علمائنا الأفاضل من رد عليهم طعنهم هذا من خلال التأليف في توجيه المتشابه اللفظي، وإن البحث فيه وفي توجيهه وتعليل وجوهه وذكر أسراره وحكمه نال نصيبا لا بأس به من جهود العلماء فتفاوتت أقوالهم عنه، وتنوعت مصنفاتهم فيه؛ فهو علم يبحث في الآيات المتشابهات الألفاظ فيظهر الفرق اللفظي بينها ومنه يبين السر وراء هذا الاختلاف، ومن أجود ما وجدناه من مؤلفات في هذا الفن: كتاب "البرهان في توجيه متشابه القرآن" لمحمود بن حمزة الكرماني الذي اهتم فيه بجمع الآيات المتشابهات الألفاظ وتحليلها وتعليل ما بينها من اختلافات؛ لذلك جعلنا هذا الفصل لبيان معنى المتشابه اللفظي وتوجيهه، وعرض منهج الكرماني في ذلك من خلال كتابه "البرهان في توجيه متشابه القرآن"، فما المقصود بالمتشابه اللفظي؟ وما هي أسباب التأليف فيه وأهميته؟ وما هي أهم الكتب المؤلفة في توجيهه؟

وما سبب تأليف الكرماني لكتاب "البرهان"؟ وما هو موضوع كتابه؟وما هو منهجه فيه؟

المبحث الأوّل:

المتشابه اللّفظي

1. تعريفه
2. أقسامه
3. نشأته وتطوره
4. أسباب التأليف فيه وأهمية دراسته
5. أشهر كتب المتشابه اللفظي وتوجيهه

توطئة:

علم المتشابه اللفظي علم جليل، يعنى برصد الآيات المتشابهات وبيان ما بينها من اختلاف على مستوى الألفاظ والتراكيب والمعاني، فهو إذن علم يجمع بين الدراسات القرآنية وعلوم اللغة، يمكننا من التعرف على أسلوب القرآن الكريم في تكرار بعض آياته، أو ورودها متشابهة الألفاظ والتركيب في أكثر من موضع مع اختلاف طفيف بتقديم أو تأخير، أو حذف أو ذكر، أو غير ذلك مما يوجب اختلافا في المعنى، هذا الاختلاف لا يلحظه من يظن أن هذا التشابه والتكرار خال من الفوائد والأسرار، فما هو علم المتشابه اللفظي؟ وكيف يتم توجيه الآيات المتشابهات الألفاظ؟ وما هي فائدة هذا العلم وأسباب التأليف فيه؟ وما هي أهم المصنفات التي اهتمت بجمع المتشابهات اللفظية في القرآن الكريم وتوجيهها؟

1) تحديد المتشابه اللفظي

المتشابه اللفظي مركب بياني وصفي، لذا يجدر بنا تفكيك هذا المركب والوقوف على المعنى اللغوي لكل لفظة على حدة:

1) 1. لغة:

أ- المتشابه:

قال الخليل (ت170هـ) عن الشبَه: « الشَّبَهُ: ضَرْبٌ مِنَ النُّحَاسِ يُلْقَى عَلَيهِ دَواءٌ فَيَصْفَرُّ، وسُمي شَبَهًا، لأنّه شُبِّه بِالذَهَبِ. وَفِي فُلانٍ شَبَهٌ مِنْ فُلانٍ وهو شَبَهُهُ وشِبْهُهُ، أي: شَبيهُهُ »[1].

1 كتاب العين، الفراهيدي (الخليل بن أحمد)، تح مهدي المخزومي _إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، (د ط)، (د ت)، باب الهاء والشين والباء معهما، ج3، ص404.

وأورد الجوهري (ت393هـ)تعريفا يريد به أنّ المتشابه هو: الاشتراك في الشيء والتماثل الذي يؤدي إلى الالتباس؛ إذ يقول: «... الشُّبْهَةُ: الِالْتِبَاسُ. والمُشْتَبِهاتُ مِن الأُمُورِ: المُشْكِلَاتُ. والمُتَشَابِهَاتُ: المُتَماثِلاتُ. وتَشبَّهَ فُلانٌ بِكَذَا. والتَّشْبِيهُ: التَمْثِيلُ. واشْتَبَهَ عليَّ الشَّيءُ. والشِّبْهُ: ضَربٌ مِن النُّحَاسِ »[1].

وهو المعنى نفسه الذي أراده ابن فارس (ت395هـ) حيث قال: « الشِينُ والبَاءُ وَالهَاءُ أصلٌ واحدٌ يدلُّ على تشابُه الشَّيءِ وَتَشَاكُلِهِ لَوْنًا وَوَصْفًا. شِبْهٌ وَشَبَهٌ وَشَبِيهٌ. والشَّبَه مِنَ الجَوَاهِرِ: الّذِي يُشْبِهُ الذَّهَبَ. والمُشَبِّهَات مِنَ الأُمُورِ: المُشْكِلاَتُ. وَاشْتَبَهَ الأَمْرَانِ، إِذَا أَشْكَلَا »[2].

وقال الراغب الأصفهاني (ت502هـ): « الشِّبْه والشَّبَه والشَّبِيهُ: حَقِيقَتُهَا فِي المُمَاثَلَةِ مِنْ جِهَةِ الكَيْفِيةِ، كَاللَّونِ والطَعْمِ، وَكَالعَدَالَةِ والظُّلْمِ، وَالشُّبْهَةُ: هُو أَنْ لَا يَتَمَيَّزَ أَحَدُ الشَّيئَينِ مِن الآخَرِ لِمَا بَينَهُمَا مِنَ التَّشَابُهِ؛ عَينًا كَانَ أَو مَعْنًى، قال: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة: 25]، أَي يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا لَونًا لَا طُعْمًا وَحَقِيقَةً، وَقِيلَ مُتَمَاثِلًا فِي الكَمَالِ والجَودَةِ »[3].

وقال الزمخشري (ت538هـ): «... وَتَشَابَهَ الشَّيئَانِ وَاشْتَبَهَا، وَشَبَّهْتَهُ بِهِ وشَبَّهْتَهُ إِيَّاهُ، وَاشْتَبَهَتْ وَتَشَابَهَت: اِلْتَبَسَتْ لِاشْتِبَاهِ بَعْضِهَا بَعْضًا »[4].

---

1 الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (إسماعيل بن حمّاد)، تح محمد محمد تامر، أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، (د ط)، 1430هـ/2009م، حرف الشين، ص581.

2 مقاييس اللغة، ابن فارس (أحمد بن فارس بن زكريا)، تح أنس محمد الشامي، دار الحديث، القاهرة، 1429هـ/ 2008م، كتاب الشين، ص469.

3 مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد)، تح مصطفى بن العدوي، مكتبة فياض للتجارة والتوزيع، ط1، 1430هـ/ 2009م، كتاب الشين، ص330.

4 أساس البلاغة، الزمخشري (جار الله محمود بن عمر)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ/ 2006م، ص320.

فكل هذه المعاني اللغوية للمتشابه تشترك في أن: التشابه يدور حول معنيين اثنين أحدهما: الإشكال والالتباس والآخر التساوي والمماثلة،فالمتشابه إذن هو: ما التبس بغيره لمماثلته ومشاكلته له في بعض الأوصاف.

ب- اللفظ:

جاء في "مختار الصحاح":«(لَفَظَ) الشَّيءَ مِن فَمِهِ رَمَاهُ وَذَلِكَ الشَّيءُ المَرْمِيُّ (لُفَاظَةٌ). و(لَفَظَ) بِالكَلَامِ وَ(تَلَفَّظَ) بِه تَكَلَّمَ به... و(اللَّفْظُ) واحدُ (الأَلْفاظِ) وهُو فِي الأَصْلِ مَصْدَرٌ »[1].

وقال ابن منظور (ت711هـ) في " لسان العرب ": « اللَّفْظُ: أَنْ تَرْمِي بِشَيءٍ كَانَ فِي فِيكَ، وَالفِعْلُ لَفَظَ الشَّيءَ.

يقال: لَفَظْتُ الشَّيءَ مِنْ فَمِي أَلفِظُه لَفْظًا رَمَيْتُهُ... وَلَفَظَ بِالشَّيءِ يَلْفِظُ لَفظًا: تَكَلَّمَ. وَفِي التَّنْزِيلِ العَزِيزِ: مَا يَلفِظُ مِنْ قَولٍ إلاَّ لَدِيهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ.

ولَفَظْتَ بِالكَلَامِ وَتلَفَّظْتَ بِهِ أَيْ تَكَلَّمْتَ بِهِ. وَاللَّفْظُ: وَاحِدُ الأَلْفَاظِ، وَهُو فِي الأَصْلِ مَصْدَرُ»[2].
وقال الراغب الأصفهاني (ت502هـ) إنّ: « اللَّفْظُ بالكَلَامِ مُستَعارٌ من لَفْظِ الشَّيءِ من الفَمِ ولَفْظِ الرَّحَى الدَّقِيقَ، ومنهُ سُمِّيَ الدِّيكُ اللاَفِظَةَ لِطَرحِهِ بَعْضَ مَا يلْتَقِطُهُ للدَّجَاجِ »[3].

فالمعنى اللغوي للفظ لا يخرج عن رمي الشيء وطرحه، والتلفّظ التكلم وهو إخراج الأصوات من الفم.

1 مختار الصحاح، الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر)، مكتبة لبنان، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص250.

2 لسان العرب، ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) ، دار صادر، بيروت، لبنان، طبعة جديدة، (د ت)، المجلد3، مادة (لفظ)، ص216.

3 المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مكتبة نزار مصطفى الباز، (د ط)، (د ت)، ج1، كتاب اللام، ص583.

1) 2. اصطلاحا:

تتفق معظم التعريفات للمتشابه اللفظي مع ما أورده الكرماني في "البرهان" قائلا: « الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن الكريم وألفاظها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك مما يوجب اختلافا بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان »[1].

فالمتشابه اللفظي حسب ما قدمه الكرماني في هذا التعريف هو تلك الآيات القرآنية التي تكررت ولكن وقع اختلاف طفيف بين ألفاظها، فالآية تختلف عن شبيهتها بزيادة أو نقصان في التعبير، أو إبدالٍ، أو تقديم أو تأخير.

وجاء عند محمد الصامل: « وأمّا ما نعنيه بالآيات المتشابهات فهي تلك الآيات التي وردت بألفاظ متفقة أو متقاربة، ولكن وقع في بعضها زيادة في موضع، ونقص في موضع آخر، أو تقديم وتأخير، أو تعريف وتنكير، أو جمع وإفراد، أو إبدال حرف مكان حرف، أو كلمة مكان أخرى»[2].

1 البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، الكرماني (برهان الدين أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر)، تح وتع السيد الجميلى، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص11.

2 من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، محمد بن علي بن محمد الصامل، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ/2001م، ص11.

أما الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن" فيذكر أهم المواضع التي يرد فيها المتشابه اللفظي قائلا: « وهو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة. ويكثر في إيراد القصص والأنباء»[1]

فالآيات المتشابهات الألفاظ كثيرا ما نجدها في القصص القرآني والأخبار.

ولعل أشمل تعريف للمتشابه اللفظي وصوره ما قدّمه محقق "درة التنزيل وغرة التأويل" مصطفى آيدين حينما قال: « إن المتشابه اللفظي في آيات القرآن الكريم هو أن تجيء الآيات القرآنية متكررة في القصة الواحدة من قصص القرآن، أو موضوعاته، في ألفاظ متشابهة، وصور متعددة، وفواصل شتى، وأساليب متنوعة، تقديما وتأخيرا، وزيادة ونقصا وذكرا وحذفا، وتعريفا وتنكيرا، وإفرادا وجمعا، وإيجازا وإطنابا، وإبدال حرف بحرف آخر، أو كلمة بكلمة أخرى، ونحو ذلك، مع اتحاد المعنى لغرض بلاغي، أو لمعنى دقيق يراد تقريره لا يدركه إلا جهابذة العلماء وأساطين البيان»[2].

فالمراد بالمتشابه اللفظي هو: الآيات التي تكررت في القرآن الكريم أو التي يشبه بعضها بعضا من حيث الألفاظ، وبنية الكلمات وصياغة الجمل والتراكيب، التي وقع في بعضها زيادة أو نقصان، تعريف أو تنكير، تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف بآخر أو كلمة بأخرى أو

1 البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ج1، ص112.

2 درة التنزيل وغرة التأويل،الخطيب الإسكافي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني)، تح محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ/ 2001م، ج1، ص55_56.

من حيث الجمع والإفراد والإيجاز والإطناب. ويرد هذا النوع في قصص القرآن لأنها كثيرا ما تتكرر في مواضع مختلفة وسور متعددة[1].

وقد قُيِّد المتشابه بوصف (اللفظي) حتى لا ينصرف الذهن إلى المتشابه قسيم المحكم؛ ذلك أنّ المتشابه اللفظي يعني الآيات التي جاءت بألفاظ متقاربة أو متشابهة، لكن وقع فيها تقديم أو تأخير، حذف أو ذكر...[2] بينما المتشابه الذي يقابل المحكم هو: ما احتمل أكثر من وجه من وجوه الرأي والتأويل[3]، فكثيرا ما نجد في الكتب تعريفات للمتشابه اللفظي ولكنها في الحقيقة تشرح المتشابه قسيم المحكم ومنها ما ورد في "المفردات في غريب القرآن":

«... والمتشابه من جهة اللفظ ضربان: أحدهما يرجع إلى الألفاظ المفردة، وذلك إما من جهة غرابته نحو: الأبّ* ويزِفُّونَ**، وإمّا من جهة مشاركةٍ في اللفظ كاليد والعين.

والثاني يرجع إلى جملة الكلام المركّب، وذلك ثلاثة أضرب: ضرب لاختصار الكلام نحو:﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾[النساء3] وضرب لبسط الكلام نحو: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾[الشورى11]...

1 ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي (أيوب بن موسى الحسيني)، تح عدنان درويش ومحمد المضري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1413هـ/1993م، ص845.

2 ينظر: من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، محمد بن علي بن محمد الصامل، ص11.

3 ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي، ج1، ص51.

وضرب لنظم الكلام نحو:﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ﴾[الكهف1_2]... »[1].

فالمتشابه اللفظي هنا ليس نفسه الذي أراده من ألّف فيه حتى وإن تشابهت التسمية فالأصفهاني يقصد به الغموض الذي يعتري الألفاظ المفردة من حيث غرابتها، والجمل من حيث الإيجاز والإطناب وما هذا من المتشابه اللفظي.

2) أقسام المتشابه اللفظي

لعلّ أوّل من قسم المتشابه اللفظي هو الزركشي في كتاب "البرهان في علوم القرآن"، وقد جعله في خمسة عشر فصلا[2]، حوى الفصل الأول منها ثمانية أقسام من المتشابه اللفظي وعنوانه المتشابه باعتبار الأفراد وهو ما ورد في القرآن الكريم مرة واحدة دون تكرار، وفيه:

1. ما جاء في موضع على نظم وفي آخر على عكسه: وشبّهه بردّ العَجُز على الصَّدْر، وقد ورد منه الكثير في القرآن الكريم نحو: ﴿وَادۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ ﴾في سورة البقرة [58]، وما جاء في الأعراف ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَادۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا ﴾[161].

2. ما يشتبه بالزيادة والنقصان: ومنه ما جاء في البقرة ﴿يُذَبِّحُونَ ﴾ [49] بغير حرف

*الأبّ: الكلأ ومختلف أنواع المراعي

**يزفّون: يركضون بسرعة

1 المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص335.

2 ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1، ص112_154.

الواو، وما جاء في إبراهيم﴿ وَيُذَبِّحُونَ ﴾ [6] بزيادة الواو.

3. التقديم والتأخير: وهذا القسم قريب من القسم الأول؛ ومنه تقديم كلمة (لعب) في سورة الأنعام ﴿ وَمَاٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ [32]، وتأخيرها في سورة العنكبوت﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾[64].

4. ما اختلف في التعريف والتنكير: كقوله تعالى في سورة البقرة ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾[126]، وقوله في إبراهيم﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾[35]، فكلمة (البلد) جاءت نكرة في الآية الأولى ومعرفة في الآية الثانية.

5. ما اختلف في الجمع والإفراد: ومنه كلمة (معدودة) في البقرة ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ [80]، و(معدودات) في آل عمران﴿ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾[24].

6. ما جاء في موضع على حرف وفي آخر على حرف غيره: نحو إبدال حرف الواو بحرف الفاء في قوله تعالى في البقرة ﴿ ٱسْكُنَ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا ﴾[35] بالواو، وقوله في الأعراف ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا ﴾ [19] بالفاء.

7. إبدال كلمة بكلمة أخرى: نحو ما جاء في البقرة ﴿ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ [170]. وما جاء في لقمان ﴿ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾[21].

8. ما اختلف في الإدغام وتركه: كقوله تعالى في الأنعام ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾[42] دون إدغام، وبالإدغام في الأعراف ﴿ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾[94][1].

1 ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1، ص112_132.

أما باقي الفصول فقد جمع فيها ما تكرر من آيات، وأجزاء من الآيات، أو حتى ما تكرر من الألفاظ، وجمع في كل فصل منها الآيات التي تكررت بالمرة أو المرات نفسها؛ إذ جمع ما جاء على حرفين نحو: قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ تكررت هذه الجملة مرتين في البقرة؛ وهما الآيتان: [219] و[266][1] .

لينتقل في الفصل الذي بعده إلى جمع الآيات، أو الألفاظ التي جاءت على ثلاثة أحرف، ثم ما جاء على أربعة أحرف، وهكذا حتى يصل إلى ما جاء على أحد عشر حرفا؛ نحو: ﴿وَتِلْكَ﴾جاءت في : البقرة [23]، وآل عمران [140]، والأنعام [83]، وهود [59]، والكهف [59]، والشعراء [22]، والعنكبوت [43]، والزخرف [72]، والمجادلة [4]، والحشر[21]، والطلاق [1].

ثم ما جاء على خمسة عشر وجها؛ نحو: ﴿ٱلسَّمَآءِ وَالَارْضِ﴾في: البقرة [164]، والأعراف [96]، ويونس [31]، والأنبياء موضعان [4] و[16]، وفي الحج [70]، والنمل موضعان [64] و[75]، والروم [25]، وسبأ [9]، وفاطر [3]، وص [27]، والدخان [29]، والذاريات [23]، والحديد [21].

وبعدها انتقل إلى جمع ما جاء على ثمانية عشر وجها؛ نحو:﴿أَكُ﴾، و﴿نَكُ﴾، و﴿يَكُ﴾، و﴿تَكُ﴾، إذ وردت بحروف المضارعة في أولها، ودون نون في آخرها في: النساء [40]، والأنفال [53]، وفي التوبة [74]، وفي هود موضعان [17] و[109]، وفي النحل موضعان [120] و[127]، وفي مريم ثلاثة مواضع [9] و[20] و[67]، وفي لقمان

1 ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1، ص133_136.

[16]، وفي غافر أربعة مواضع [16] و[12] و[50] و[85]، وفي المدثر موضعان [43] و[44]، والقيامة [37][1].

ثم ذكر ما جاء على عشرين وجها؛ نحو: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ جاءت في: البقرة [248]، وآل عمران [49]، وهود [103]، والحجر [77]، وفي النحل خمسة أحرف هي: [11] و[13] و[65] و[67] و[69]، وفي الشعراء ثمانية: [8] و[67] و[103] و[121] و[139] و[158] و[174] و[190]، وفي النمل [52]، والعنكبوت [44]، وسبأ [9][2].

وأخيرا ما جاء على ثلاثة وعشرين حرفا؛ نحو: ﴿نَزَّلَ﴾ جاء هذا الفعل في خمسة وعشرين موضعا منها: في البقرة [176]، وآل عمران [3]، وفي النساء موضعان: [136] و[140]، والأنعام [37]، وفي الأعراف موضعان: [71] و[196]، والحجر [6]، والنحل [44]، والإسراء [105]، وفي الفرقان ثلاثة مواضع: [1] و[25] و[32][3].

1 ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1، ص150_152.

2 ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص152.

3 ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1، ص153_154.

وتحدث عن هذا التقسيم الذي اعتمده الزركشي محمد فاضل السامرّائي، لكنه خص بالذكر الأقسام الثمانية الأولى المذكورة في الفصل الأول: ما جاء على حرف واحد، مضيفا عليه أقساما ثمانية أخرى هي:[1]

1. التوكيد وعدمه: كقوله تعالى في البقرة ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [193] من غير توكيد، وقوله في الأنفال ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ ﴾ [39] مؤكدة بـ(كلّ).

2. الاختلاف في صيغ الوصف: ومنه ما جاء في سورة الأنعام ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ﴾[99]، وما جاء في السورة نفسها ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ﴾[141].

3. ما اختلف في صيغ جموعه: نحو﴿نُغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾[البقرة 58] جمع تكسير، ونحو ﴿ تُغْفَرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔتُكُمْ ﴾[الأعراف 161] جمع مؤنث سالم.

4. ما اختلف في التجرد والزيادة: نحو الفعل المجرد (تبع) في قوله عزّ وجلّ في البقرة ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ ﴾ [38]، والفعل المزيد (اتّبع) في قوله في طه ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ ﴾ [123].

5. الاختلاف في أحرف الزيادة: ومنه ما جاء في البقرة ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾[49]، وما جاء في الأعراف ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾[141].

1 ينظر: دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب "ملاك التأويل"، السّامرّائي (محمد فاضل صالح)، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ط1، 1437هـ/2016م، ص 24_25.

6. البناء للمعلوم والبناء للمجهول: نحو قوله تعالى في سورة التوبة ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[87]، وقوله في السورة نفسها ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[93].

7. اختلاف الفعل من حيث التذكير والتأنيث: ومنه قوله تعالى في سورة هود ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾[67]، وأيضا قوله في هود نفسها ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [94].

8. التكرار: كقوله تعالى ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[الشرح 5_6].

هذا وقد أشار محمد السامرائي إلى أن هذه الأقسام التي ذكرها الزركشي للمتشابه اللفظي إضافة إلى الأقسام التي ذكرها هو: هي نفسها التي نجدها في مختلف كتب المتشابه اللفظي[1]، فحتى وإن اختلفت تسمية الأقسام فإنها نفسها المذكورة، وحتى وإن اختلفت الأسس المعتمدة في وضع هذه الأقسام فإنها ستبقى فروعا لهذه الأقسام، أو جذورا لها.

3) نشأة علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتطوره

لا يمكن الجزم ببداية هذا العلم، لكن يمكن التحدث عن ذلك من خلال تتبع بعض المؤلفات فيه، فالاطلاع على المؤلفات التي جمعت المتشابه اللفظي في القرآن الكريم واهتمت بتوجيهه يعطي لنا إشارات حول بدايات ظهور هذا العلم وتطوره؛ فلا بد أنه ظهر أول الأمر في سبيل جمع الآيات المتشابهات بغية تسهيل حفظها، وهنا لا بد أنه قد ظهر مع القراء لإرشاد الحفاظ الذين يسهون وينتقلون من آية إلى آية أخرى، ومن سورة إلى سورة أخرى، نظرا للتشابه الكبير بين ألفاظ الآية الأولى وألفاظ الآية الثانية، فقد قال ابن المنادي

1 ينظر: دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل، محمد السامرائي، ص25.

في كتاب "متشابه القرآن العظيم" عند حديثه عن حفظ القرآن: « ولم يبق إلا النوع الذي استحدثه فريق من القراء، ولقبّوه (المتشابه) وإنّما حملهم على وضعهم إياه للقرأة، ردّا من سوء الحفظ، وحداهم كون القرآن ذا قصص، وتقديم وتأخير كثير ترداد أنبائه، ومواعظه وتكرار أخبار من سلف من الأنبياء، والمهلكين الأشقياء، يأتي بعضه بكلام متساوي الأبنية والمعاني على تفريق ذلك في آي القرآن وسوره قد يجيء حرف من غير هذا الضرب، فيأتي بالواو مرة، وبالفاء مرة، وآخر يأتي بالإدغام تارة، وأسماء متماثلة، فاستحبوا أن يجمعوا من حروف متشابه القرآن ما إذا حفظ منع من الغلط»[1] ولعل أقدم كتاب ألّف في المتشابه اللفظي هو: كتاب "متشابه القرآن" لأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي (ت189هـ) أحد القرء السبعة؛ وضع كتابه هذا على أساس جمع الآيات المتشابهات لفظا.

ثم استحدثت طريقة أخرى في تصنيف الآيات المتشابهات لفظا؛ تقوم هذه الطريقة على جمع وعرض الآيات المتشابهات في السورة الواحدة مع نظيراتها من السور الأخرى، اعتمادا على ترتيب المصحف الشريف، وعند الفراغ من جمعها يتم الانتقال إلى السورة التي بعدها كأن يجمع الآيات المتشابهات الألفاظ في سورة البقرة وذكر ما يشبهها من الآيات في السور الأخرى، وعند حصرها ينتقل إلى سورة آل عمران، وبعدها إلى النساء، وهكذا وصولا إلى سورة الناس[2]، فهذا ما ذكره ابن المنادي: « وكأن الذي استحدثه أراد أن يقرب بعض الأشكال إلى بعض، فعمد إلى ما في سورة البقرة من حرف له نظير مذكور في سورة أخرى أو سور عدة، فأضاف تلك النظائر إلى الحرف أو الحروف التي تشبهها في سورة البقرة، حتى إذا استنظف ما في سورة البقرة من ذكر القصص والحروف المتشابهة ذكر ما في سورة

1 متشابه القرآن العظيم، ابن المنادي (أبو الحسن أحمد بن جعفر)، تح عبد الله بن محمد الغنيمان، مكتبة لينة للنشر والتوزيع، (د ط)، 1414هـ/1993م، ص59.

2 ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي، ج1، ص67.

آل عمران وما يليها إلى آخر القرآن بذلك النعت»[1]. ولعل هذه الطريقة المستحدثة قد لقيت استحسانا كبيرا لدى القراء، الذين اتبعوها في التأليف في علم المتشابه اللفظي، وهكذا توالت المؤلفات فيه.

ثم انتقل هذا العلم إلى أوج تطوره؛ فأخذ العلماء يتجهون إلى توجيه تلك الآيات المتشابهات الألفاظ إلى معانيها، وبيان سببها، وحكمتها، وفائدتها، وهذا لما ظهرت طائفة من الملحدين الذين يشككون في بلاغة وإعجاز القرآن الكريم، والذين اتخذوا من الآيات المتشابهات لفظا وسيلة للطعن في القرآن الكريم، فجاء توجيه العلماء لهذه الآيات ردا قويا عليهم، وكان أول من ألّف في توجيه المتشابه اللفظي: الخطيب الإسكافي في "درة التنزيل وغرة التأويل"، وتتابعت المؤلفات بعده سنذكرها بإذن الله في موضعها[2]، فكانت هذه المرحلة هي أجلّ مراحل تطور هذا العلم[3].

4) أسباب التأليف في المتشابه اللفظي وأهمية دراسته

اعتنى الأئمة وعلماء اللغة والتفسير بعلم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم أيما عناية فبادروا إلى التأليف فيه بجمع الآيات المتشابهات الألفاظ وتوجيهها، وترجع أسباب التأليف في هذا العلم وأهمية دراسته إلى:

- السعي إلى بيان الحِكم من تنوع الأساليب وتكرار الآيات والألفاظ في القرآن الكريم إمّا متشابهة أو مختلفة فـ « القرآن الحكيم وإن اشتمل على النقل من أسلوب إلى آخر لكنه

1 متشابه القرآن العظيم، ابن المنادي، ص161.

2 ينظر: ص34 _42 من الأطروحة.

3 ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي، ج1، ص68.

يشتمل مع ذلك على فائدة وحكمة »[1]، وله دلالات دقيقة يراد تقريرها من وراء هذا التكرار وأغراض بلاغية ومعانٍ كامنة لا يدركها إلا من آتاه الله علما وفهما لأسرار الكتاب العزيز.

- دراسة المتشابه اللفظي تعين على تحصيل علوم كثيرة منها النحو والصرف والبلاغة وأصول الفقه وغيرها؛ لأن البحث في أوجه التشابه ومحاولة توجيهها يتطلب النظر في هذه العلوم[2].

- التأليف في المتشابه اللفظي محاولة لرفع الإشكال واللبس المتعلق بالآيات المتشابهات وذلك من خلال تتبع ورصد سياق ورودها سواء كان هذا السياق عامّا متعلقا بموضوع السورة القرآنية أم خاصا متعلقا بموضوع الآية الواحدة[3].

- قطع طريق المشككين والملحدين الذين اتخذوا من المتشابه سبيلا للطعن في القرآن الكريم والتشكيك فيه، مدّعين أن ما تشابه أو تكرر من ألفاظ القرآن وآياته إنما هو تكرار لا فائدة منه وهو غير مفهوم ولا هدف له، والرد عليهم بتوجيه ما تشابه منه وبيان معانيه وحكمه[4].

- عندما يفهم القراء والحفاظ معنى ودلالة المتشابه اللفظي يتحقق لديهم الارتياح النفسي ويزداد إيمانهم.

---

1 البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1، ص124.

2 ينظر: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم "دراسة تحليلية"، وليد محمد عبد العزيز الحمد، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، العدد96، السنة29، 1435هـ/2014م، ص73.

3 ينظر: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم _دراسة نقدية بلاغية_، مشهور موسى مشهور مشاهرة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1431هـ/2010م، ص9.

4ينظر: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية: نقد مطاعن، ورد شبهات، فضل حسن عباس، دار الفتح، عمان، الأردن، ط1، 1421هـ/2000م، ص62_63_64.

• هناك من يظن أن هذا التكرار في الكلمات والآيات وهذا التشابه بينها إنما هو تنوع وتفنن في الأساليب وليس له دور في تغيير المعنى، وهنا يسعى المؤلفون في علم المتشابه اللفظي إلى توعية الناس من هذا الظن الخاطئ وإرشادهم إلى أنه ورغم التشابه الموجود بين الآيات إلا أنه هناك اختلاف في معانيها[1].

• إن رصد الآيات المتشابهات في القرآن الكريم وتوجيهها يساعد الحفاظ على ضبط حفظهم من خلال أداء الألفاظ في مواطنها دون أن يلتبس عليهم الأمر وتختلط عليهم مواضع الألفاظ والآيات المتشابهات.

• الكشف عن بلاغة القرآن الكريم وإظهار إعجازه في لفظه ومعناه[2].

• كثرت المؤلفات في تفسير القرآن الكريم وتأويله، وكثر المفسرون إلا أنهم لم يشتغلوا بتوجيه المتشابه اللفظي.

5) أشهر كتب المتشابه اللفظي وتوجيهه

صنّف في المتشابه اللفظي وفي توجيهه جماعة؛ ذكرهم السيوطي في قوله:« أولهم فيما أحسب الكسائي، ونظمه السخاوي وألّف في توجيهه الكرماني كتابه [البرهان في متشابه القرآن] وأحسن منه [درة التنزيل وغرة التأويل] لأبي عبد الله الرازي، وأحسن من هذا [ملاك التأويل] لأبي جعفر بن الزبير ولم أقف عليه. وللقاضي بدر الدين بن جماعة في ذلك كتاب لطيف سماه [كشف المعاني عن متشابه المثاني] وفي كتاب [أسرار التنزيل المسمى قطف

1 ينظر: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، مشهور موسى مشهور مشاهرة، ص10.

2 ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي، ص62.

الأزهار في كشف الأسرار] من ذلك الجم الغفير»[1]. ونجد من تلك المؤلفات ما يهتم بجمع المتشابه اللفظي، ومنها ما يهتم بتوجيهه سنحاول ذكر بعض هذه الكتب المؤلفة في المتشابه اللفظي وفي توجيهه.

أ- الكتب المؤلفة في جمع المتشابه اللفظي:

يقتصر هذا النوع من المصنفات على جمع الألفاظ والآيات القرآنية المتشابهة والتي تشتبه على حافظ القرآن فينتقل من آية إلى آية ومن سورة إلى أخرى دون أن يشعر بذلك، وبذلك يساعده هذا النوع من المصنفات على التنبّه للآيات المتشابهات ويتسنى له حفظها دون التباس بما يشبهها؛ وقد أشار الكرماني إلى هذا النوع من المصنفات في مقدمة البرهان قائلا:« فإنّ الأئمة رحمهم الله تعالى قد شرعوا في تصنيفه واقتصروا على ذكر الآية ونظيرتها، ولم يشتغلوا بذكر وجوهها وعللها والفرق بين الآية ومثلها، وهو المشكل الذي لا يقوم بأعبائه إلا من وفقه الله لأدائه»[2]. وأهم ما وجدناه من الكتب التي جمعت المتشابه اللفظي دون توجيهه:

1. متشابه القرآن: وهو كتاب لعلي بن حمزة الكسائي (ت189هـ) يحوي خمسة عشر بابا خصّها _عدا الباب الأول والأخير_ للحديث عمّا تكرر وتشابه من القرآن الكريم باقتضاب شديد، وهذا الكتاب محقق ومطبوع ويعدّ من أولى المحاولات المعجمية لفهرسة ألفاظ القرآن الكريم، وأوّل ما أُلّف في المتشابه اللفظي، وأقدم ما وصلنا من المؤلفات في هذا النوع[3].

1 الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن)، وبأسفل الصحائف إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني، ج2، ص146.

2 البرهان، الكرماني، ص20.

3 ينظر: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، طاش كبرى زاده (أحمد بن مصطفى)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1405،1هـ/1985م، ج2، ص482.

2. متشابه القرآن العظيم: لمؤلفه أحمد بن جعفر بن المنادي (ت336هـ) وهو كتاب مطبوع، حققه عبد الله بن محمد الغنيمان، ينطوي الكتاب على قسمين كبيرين؛ خصص القسم الأول منهما لذكر ما تكرر من القرآن الكريم (بمعنى ورود اللفظة أو الجملة عددا من المرات)، أما القسم الثاني ويسميه: النوع الأبوابي من متشابه الآيات في السور، فخصصه للمتشابه اللفظي ورتبه على السور القرآنية، إذ يذكر ما يشتبه في السورة مع غيرها، ثمّ ينتقل للسورة الموالية وهكذا، ويذكر ابن المنادى أن غرضه من تأليف هذا الكتاب هو جمع النظائر من ألفاظ القرآن الكريم، والتي تشتبه على القارئ ومن ثمة يتنبه لها فيتقن حفظها، وأيضا إعانة من يريد الرد على الملحدين الذين يتخذون المتشابه اللفظي وما تكرر من ألفاظ القرآن سبيلا للطعن في كتاب الله[1].

3. هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب: لعلم الدين أبي الحسين علي بن محمد السّخاوي (643م)، حققه عبد القادر الخطيب الحسني، وهو عبارة عن أرجوزة منظومة في أربعمائة وواحد وثلاثين بيتا، تعد من خيرة ما نظم في علم المتشابه اللفظي، يقول عنها ناظمها:

« وقَدْ نَظَمْتُ في اشْتباهِ الكَلِمِ أُرْجوزَةً كاللُّؤلُؤِ المُنَـظَّمِ

لَقّبْتُـها هِـدايَـةَ المُرْتـابِ وغَايَةَ الحُـفَّاظِ والطُّلابِ

رَتَّبْتُهَا عَلَى حُرُوفِ المُعْجَمِ فَأَفْصَـحَتْ عَنْ كُلِّ أَمْرٍ مُبْهَمِ

فَإِنْ أَرَدْتَ عِلْمَ لَفْظٍ مُشْكِلِ فَانْظُرْ إِلَى الحَرْفِ الّذِي فِي الأَوّلِ»[2]

1 ينظر: متشابه القرآن العظيم، ابن المنادى، ص17.

2 هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب، السّخاوي (علمُ الدين أبو الحسن علي بن محمد)، تح عبد القادر الخطيب الحسني، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ/1994م، ص66.

جمع السّخاوي في أرجوزته الألفاظ المتشابهة في القرآن الكريم وعرضها مرتبة على حروف المعجم، جاعلا لكل حرف بابا. وقد حظيت أرجوزته بعناية العلماء فمنهم من نظم على منوالها ومنهم من شرحها.

4. تتمة البيان لما أشكل من متشابه القرآن: عبارة عن أرجوزة لعبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي يعرف بأبي شامة (ت665هـ) الذي سار في هذه الأرجوزة على منهج شيخه السخاوي، غير أنه زاد عليه ما أغفله من المتشابه. قال في آخرها:

جعلتُه تتمةً في الباب لما حوت هداية المرتاب[1]

وهي مخطوطة توجد نسخة منها في المكتبة الظاهرية بدمشق وعدد أوراقها سبع ورقات[2].

5. منظومة: لمحمد بن مصطفى الخضري الملقب بالشيخ الدمياطي (ت1287هـ)، وهي منظومة مطبوعة سار فيها مؤلفها على طريقة شيخه السخاوي في ترتيبها على حروف المعجم، غير أنه زاد عليه والتزم فيها قافية واحدة، يقول في مطلعها:

نحوت به نحو السخاوي وغالبا أزيد زيادات يدين لها الحجا

وهذه المنظومة مطبوعة؛ طبعت بمصر عام 1321هـ، وأعيد طبعها بدمشق عام 1404هـ[3].

1 ينظر: هداية المرتاب، السخاوي، ص29_30.

2 ينظر: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، 1409هـ/1989م، ص257.

3 ينظر: هداية المرتاب، السخاوي، ص30.

6. كنز المتشابهات: مؤلفه من علماء الهند وهو: محمد محبوب أنجنير، كتابه هذا بمثابة معجم فهرسي للآيات المتشابهات والمتكررة في القرآن الكريم، طبع طباعة حجرية قديمة وكتبت مقدمته باللغتين العربية والأردية[1].

ب- الكتب المؤلفة في توجيه المتشابه اللفظي:

تهدف الكتب المؤلفة في توجيه المتشابه اللفظي إلى توجيه الآيات المتشابهات في القرآن الكريم وتحديد معانيها والفروق بينها، اتخذ فيها مؤلفوها منهجا خاصا يعتمد على جمع الآيات الخاصة بالمناسبة الواحدة، أو الآيات ذات الأسلوب الواحد، ثم النظر فيها وذكر وجوهها المحتملة، وقد جمعنا هاهنا أهم هذه المصنفات مرتبة ترتيبا تاريخيا وهي:

1. **درة التنزيل وغرة التأويل:** لمحمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (ت420هـ)، وهو كتاب محقق ومطبوع، من أهم الكتب المؤلفة في توجيه المتشابه اللفظي ومصدر من المصادر التي يعتمد عليها في التأليف في هذا العلم فهو أوّل كتاب في توجيه المتشابه، وبذلك عدّ الإسكافي مؤسس هذا العلم يليه كتاب (البرهان في متشابه القرآن للكرماني) و(ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي)[2]، وقد ذكر الخطيب الإسكافي سبب تأليفه لدرة التنزيل قائلا: « فعزمت عليها بعد أن تأمّلت أكثر كتب المتقدمين، والمتأخّرين، وفتّشت عن أسرار معاني المتأوّلين المحققين المتبحّرين، فما وجدت أحدا من أهلها بلغ غاية كنهها... ففتقت من أكمام المعاني ما أوقع فرقانا، وصار لمبهم المتشابه، وتكرار المتكرر تبيانا، ولطعن الجاحدين ردّا، ولمسلك الملحدين سدّا »[3]. مرتبا إيّاه وفق ترتيب سور القرآن

1 ينظر: من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، محمد الصامل، ص28_29.

2 ينظر: تيسير المنان في جمع متشابه ألفاظ القرآن، أبو معاذ حسين بن محمد زينهم بن محمد وأم معاذ ألفت بنت محمد بن عبد الدايم، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط2، 1436هـ/2015م، ص86.

3 ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي، ص218_219.

مبتدئا بسورة البقرة فيعرض ما تشابه من آياتها مع آيات السور الأخرى، ثم ينتقل إلى سورة آل عمران، ثم التي بعدها حتى يكمل، وقد شكك بعض العلماء في نسبة "درة التنزيل" للخطيب الإسكافي ومنهم: محمد الطاهر بن عاشور الذي ذكر نسبته إلى فخر الدين الرازي أو الراغب الأصفهاني[1].

2. **الآيات المتشابهات أو متشابه القرآن:** لمقاتل بن سليمان (ت150هـ) الذي ذكره ابن النديم في فهرسته[2]، وهو« من أوائل من ألفوا في الآيات المتشابهات _إن لم يكن أولهم بالفعل_»[3] إذ بين سعد عبد العظيم محمد ريادة مقاتل بن سليمان لعلم المتشابهات وتوجيهها في مقدمة كتابه "استدراك ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات" وهو كتاب « مفقود لم يصلنا منه إلا ما ذكره عنه أحمد بن الملطي عن مقاتل بن سليمان في كتابه " التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع"»[4].

3. **البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان:** لبرهان الدين محمود بن حمزة الكرماني تاج القرّاء (ت 505هـ تقريبا)، وهو كتاب مطبوع بتحقيقات مختلفة منها: السيد إبراهيم الجميلى، عبد القادر عطا، أحمد عز الدين عبد الله خلف، والقارئ لهذا الكتاب يلاحظ أن الكرماني أفاد كثيرا من "درة التنزيل" وسار فيه على منهج الإسكافي في ترتيب

1 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس/المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د ط)، (د ت)، ج1، ص7.

2 ينظر: الفهرست، ابن النديم (محمد بن إسحاق)، تح ناهد عباس عثمان، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة، ط1، 1985م، ص78.

3 استدراك ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات، سعد عبد العظيم محمد، دار بان الجوزي، القاهرة، مصر، ط1، 143هـ/2015م، ص10.

4 المرجع نفسه، ص10.

الكتاب حسب ترتيب السور في المصحف الشريف، ورغم أن عنوان الكتاب : البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان" يحيل على مضمونه إلا أن الكرماني يذكر هدفه من تأليف هذا الكتاب وهو ذكر« الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن الكريم وألفاظها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك مما يوجب اختلافا بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان، وأبين ما السبب في تكرارها، والفائدة في إعادتها، وما الموجب للزيادة والنقصان، والتقديم والتأخير والإبدال، وما الحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى، وهل كان يصلح ما في هذه السورة مكان ما في السورة التي تشاكلها أم لا »[1]، وهو كتاب مختصر اعتمد فيه الكرماني على مبدأ الإيجاز والاختصار، ومع ذلك فقد قام فيه بتوجيه وذكر كثير من الآيات التي أغفلها صاحب الدرة، ما يعني أنه صبّ اهتمامه على المتشابهات أكثر من التوجيه.

4. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل:

لمؤلفه أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت708هـ)، وهو أوسع وأشمل ما ألّف في توجيه المتشابه اللفظي، مطبوع بثلاثة تحقيقات أحدها لسعيد الفلاح والآخر لمحمود كامل أحمد والآخر لعبد الغني محمد علي الفاسي، وعنوانه فقط يكشف عن غاية المؤلف من وضعه لهذا الكتاب وهي توجيه المتشابه اللفظي للرد على الملحدين الذين يطعنون في القرآن الكريم وفي الدين الإسلامي، ونشير إلى أن ابن الزبير الغرناطي أفاد هو أيضا _على غرار الكرماني_ من "درة التنزيل" غير أنّه صرح بذلك في مقدمته قائلا: « ورد علي كتاب لبعض المعتنين من جلة المشارقة، نفعه الله، سمّاه بكتاب درة التنزيل وغرة التأويل، قرع به مغلق هذا الباب، وأتى في هذا المقصد بصفو من التوجيهات لباب...وأحسن

1 البرهان في توجيه متشابه القرآن، الكرماني، ص19_20.

فيما سلك وسنّ، وحق لنا به _لإحسانه_ أن نقتدي ونستنّ »[1]، كما أنه زاد كثيرا على الإسكافي فقد ذكر كل ما أغفله في "درة التنزيل" وعلّمه بإضافة حرف الغين (غ) قبله، كما رتّبه على سور القرآن بادئا بسورة الفاتحة، وهو على عكس الكرماني فقد ركز على التوجيه والتأويل.

5. كشف المعاني في المتشابه المثاني: لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن إبراهيم الحمويّ الشّافعي، المعروف بابن جماعة (733هـ)، وهو كتاب مطبوع ومحقق حقّقه ناصر بن علي القطامي، والملاحظ أن ابن جماعة أفاد ممن سبقه مشيرا إلى ذلك في مقدمته قائلا: « فتحلّ تلك الأسولة بما يفتح الله تعالى به إما منقول أو غير منقول»[2] وبخاصة من الكرماني لأنه كثيرا ما يتفق معه في العديد من التوجيهات والتعليقات، مع ميله الشديد للاختصار وحرصه على التوجيه المباشر فقد عرض الآيات المتشابهات ووجهها في شكل مسائل (سؤال وجواب).

6.التقرير في التكرير: للسيد محمد (أبو الخير) عابدين (ت1344هـ)، وهو كتاب مطبوع تحدث فيه عن المتشابه اللفظي في القصص القرآني، باحثا عن حكمة تكرير القصص الواردة في القرآن الكريم، كما تطرق إلى تكرار الألفاظ والمعاني[3].

1 ملاك التأويل، الغرناطي، ص8.

2 كشف المعاني في المتشابه المثاني، ابن جماعة (بدر الدين محمد بن إبراهيم)، تح ناصر بن علي القطامي، آيات للنشر والتوزيع، ط2، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1432هـ، ص18.

3 ينظر: هداية المرتاب، السخاوي، ص33_34.

7. رسالة في متشابه التعبير باللفظ في آيات القرآن: مؤلفها: أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت316هـ)، وهذه الرسالة لا تزال مخطوطة توجد نسخة منها في المكتبة الظاهرية، بها سبع عشرة ورقة وهي مخرومة الأول والآخر[1].

8. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: لمؤلفه زكريا الأنصاري الملقب شيخ الإسلام (ت 926هـ)، وهو كتاب مطبوع بتحقيقات مختلفة إحداها لبهاء الدين عبد الموجود محمد يعد "فتح الرحمن" اختصارا لكتاب الكرماني[2]؛ فهو مرتب على سور القرآن الكريم جمع فيه صاحبه الآيات المتشابهات « المختلفة بزيادة أو تقديم أو إبدال حرف بآخر، وغير ذلك، مع بيان سبب الاختلاف، وفي ذكر غير المختلفة مع بيان سبب تكراره»[3]، رتبه على حسب سور القرآن الكريم فقد أفاد فيه ممن سبقه في التأليف في هذا العلم مصرحا بذلك في مقدّمته وخاصة من كتاب "البرهان" للكرماني فقد نهج منهجه في الاختصار وكان كثير الأخذ عنه في توجيه الآيات، بل نجده أحيانا ينقل قول الكرماني دون أن يتصرف فيه، ودون أن يصرح بذلك، وكان يعرض الآيات ويوجها في شكل مسائل؛ إذ يطرح السؤال ثم يقدم يجيب عنه بتوجيه الآية، يقول في ذلك:« وفي ذكر أنموذج من أسئلة القرآن العزيز وأجوبتها صريحا أو إشارة»[4].

1 ينظر: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، ص41.

2 ينظر: من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، محمد الصامل، ص27.

3 فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريا الأنصاري، تح بهاء الدين عبد الموجود محمد، راجعه علي معبد فرغلي، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص1.

4 المرجع نفسه، ص1.

9.استدراك ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات: كتاب لسعد عبد العظيم محمد الذي قام فيه مؤلفه بذكر الآيات المتشابهات التي لم تدرس قبله وبيان الأسرار البلاغية للفروق بينها مستهلا الحديث عن أول من عرض للآيات المتشابهات عامة وتوجيهها خاصة (وهو الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة)، ثم تعريف الآيات المتشابهات وبيان المراحل التي مر بها علم توجيه المتشابه اللفظي[1]. ثم ذهب يعرض الآيات المتشابهات الألفاظ والتي لم يذكرها من سبقه إلى التأليف في المتشابه اللفظي وتوجيهه مرتبا إياها على ترتيب سور القرآن الكريم.

10. تذكرة الحفاظ في مشتبه الألفاظ: وهو عبارة عن مخطوط لأبي إسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبري الشافعي (ت732هـ)، توجد نسخة منه في المكتبة التيمورية[2].

ت- الدراسات الحديثة

كما توجد الكثير من الدراسات الحديثة عن المتشابه اللفظي وتوجيهه، نذكر منها:

1. المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية: رسالة دكتوراه لصالح الشثري عنوانها الكامل "المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية دراسة تحليلية لتراث علماء المتشابه اللفظي"، قام فيها الشثري « بدراسة مائة وثلاثة وثمانين موضعا من أصل ثلاثمائة وثمانين موضعا »[3] من المتشابهات اللفظية في القرآن الكريم، بعدما استعرض أهم الكتب المؤلفة في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وهي: "درة التنزيل" للإسكافي

1 ينظر: استدراك ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات، سعد عبد العظيم محمد، ص7.

2 ينظر: الفهرس الشامل، ص372.

3 المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، صالح بن عبد الله الشثري، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (د ط)، 1425هـ، ص8.

"البرهان في متشابه القرآن" للكرماني، "ملاك التأويل" للغرناطي، "كشف المعاني" لابن جماعة، "فتح الرحمن" للأنصاري.

2.من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم: وهو كتاب مطبوع لمحمد بن علي بن محمد الصامل، سمّاه "من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم" لأنه اكتفى فيه بالحديث عن عشرة مواضع فقط من التشابه اللفظي[1]، مرتبة حسب ورودها في المصحف، مبينا هدفه من التأليف في هذا الموضوع في مقدمة الكتاب قائلا: « وقد رأيت أن الوقوف عند هذه الظاهرة وبيان سرّ الاختلاف بين الآيات المتشابهة لفظيا، ومحاولة تعليل ذلك بلاغيا انطلاقا من تحديد مقام كل موضع واستدعائه للصيغة التي وردت فيه، فلكل مقام مقال، وهذا هو لبّ البلاغة. عن ذلك من أهم غايات البلاغة العربية»[2]. فقد سعى في بحثه هذا إلى بيان الأسرار البلاغية للاختلاف بين الآيات المتشابهة الألفاظ في القرآن الكريم.

3. المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة نقدية بلاغية: وهي رسالة ماجستير لمشهور موسى مشهور مشاهرة، درس فيها المتشابه اللفظي بطريقة مختلفة فهو لم يبدأ حسب ترتيب سور القرآن الكريم وإنما بدأ بالمتشابه اللفظي في الحروف، ثم انتقل إلى المتشابه اللفظي في المفردات وصولا إلى المتشابه اللفظي في الجمل، إلا أنه لم يجمع كل ما في القرآن الكريم من متشابه مشيرا إلى أن ذلك يحتاج إلى جهد جماعي مشترك[3].

4. تيسير المنان في جمع متشابه ألفاظ القرآن: وهو كتاب لأبي معاذ حسين بن محمد زينهم بن محمد وأم معاذ ألفَت بنت محمد بن عبد الدايم، جمعا فيه المتشابهات في جداول

1 ينظر: من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، محمد الصامل، ص7.

2 المرجع نفسه، ص5.

3 ينظر: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، مشهور موسى مشهور مشاهرة، ص243.

وجعلا مواضع التشابه باللون الأحمر تيسيرا على الباحث، إذ ذكرا المتشابهات اللفظية مرتبة ترتيبا هجائيا من باب الهمزة إلى باب الياء، ثم انتقلا إلى ذكر الآيات المتطابقة والآيات المتشابهة تشابها جزئيا مع جمع بعض المتشابهات في قصص الأنبياء دون توجيه لهذه الآيات المتشابهات.

5.الآيات المتشابهات: وعنوانه الكامل: **الآيات المتشابهات: التشابهاللفظي للآيات حكم وأسرار_فوائد وأحكام،** ومؤلفه عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، الذي أشار في مقدمة الكتاب إلى أن كتابه هذا يختلف عن غيره من الكتب فقد ضم: جميع ما في القرآن الكريم من متشابه مرتبا على سور القرآن، مع ذكر أسرار المتشابه اللفظي وبيان أسباب اختلاف الألفاظ والحروف في الآيات[1]، كما ذكر بعض المعاني اللغوية في المتشابه اللفظي وجملة من الفوائد التي تعين القارئ أو الحافظ على معرفة المتشابه للتفريق بين الآيات والسور.

6.الإعجاز البلاغي لتحولات النظم القرآني في المتشابه من الألفاظ والتراكيب: أطروحة دكتوراه لأحمد محمد أمين إسماعيل تحدث فيها عن المتشابه اللفظي من حيث (تحولات النظم القرآني) في الحروف والأفعال والأسماء وصيغها، والتذكير والتأنيث والتعريف والتنكير والتقديم والتأخير والذكر والحذف متناولا الآيات والمقاطع المتشابهة ناقصة التطابق، ثم تناول الآيات المتشابهة تامة التطابق في اللفظ دون المعنى، معتمدا على كتب المتقدمين التي ألفت في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم[2].

7.المعجم المفهرس للتراكيب المتشابهة لفظا في القرآن الكريم: لمؤلفه محمد زكي محمد خضر، وهو عبارة عن فهرس للتراكيب المتشابهة لفظا في القرآن الكريم، يضم التراكيب اللفظية التي فيها نوع من التشابه اللفظي أو التكرار، تم إنجازه باستعمال الحاسوب، مرتب

1 ينظر: الآيات المتشابهات، عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، دار التدمرية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1430هـ/2009م، ص11_12.

2ينظر: الإعجاز البلاغي لتحولات النظم القرآني في المتشابه من الألفاظ والتراكيب، أحمد محمد أمين إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011م، ص7.

ترتيبا ألفبائيا يتضمن الإشارة إلى السور وأرقام الآيات، التي وردت فيها المتشابهات وعدد مرات تكرار العبارات المتطابقة[1].

1ينظر: المعجم المفهرس للتراكيب المتشابهة لفظا في القرآن الكريم، محمد زكي محمد خضر، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1422ه/2002م، ص405.

المبحث الثّاني:

برهان الدّين الكرماني

1. اسمه ونسبه
2. شيوخه وتلامذته
3. مؤلفاته
4. وفاته

بعدما فرغنا من الحديث عن المتشابه اللفظي، فقد عرفنا ماهيته، وفائدته، وأهميته وبعدما عرفنا أقسامه، وأهم المصنفات التي اهتمت بجمع الآيات المتشابهات الألفاظ في القرآن الكريم، والمصنفات التي اهتمت بجمعها وتوجيهها، وقبل أن نتحدث عن كتاب "البرهان في توجيه متشابه القرآن" لا بد أن نقدم ترجمة للكرماني؛ فمن هو برهان الدين الكرماني؟

1)اسمه ونسبه:

الكرماني صاحب كتاب "البرهان في متشابه القرآن" ليس هو الكرماني الذي شرح صحيح البخاري وإنّما هو: برهان الدين أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني الشافعي، الملقب بتاج القراء[1]، نحوي وفقيه، كان آية في الفهم والاستنباط والتفسير؛ فهو أحد العلماء الفهماء النبلاء، صاحب الفضل والتصانيف[2]، لكن المصادر التي ترجمت لتاج القراء لم تأت بمعلومات وافية عن حياته ونشأته فكل ما ذكر أنه لم يفارق وطنه كرمان ولا رحل، وإن كان كذلك فلا بد أنه ولد بكرمان ونشأ بها ودرس على يد علمائها.

وقد لقب برهان الدين محمود بن حمزة بن نصر بالكِرماني نسبة إلى بلده (كِرْمَان) بكسر الكاف وقيل فتحها، وسكون الراء وفتح الميم، ثم الألف والنون، تقع بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، وهي بلاد كثيرة النخل والزرع اجتمع فيها البرد والحر تشبّه بالبصرة وفارس، سميت بكرمان بن فلوج بن لنطي بن يافث بن نوح عليه السلام لأنه نزل بها واستوطنها فسميت به[3]، وهي ولاية كبيرة نُسب إليها خلق عظيم من العلماء؛ منهم: أبو هشام

1 ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله)، اعتنى به محمد شرف الدين يالتقايا، ورفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، ج1، ص241.

2 ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن)، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط2، 1399هـ/ 1979م، ج2، ص277.

3 ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله)، دار صادر، بيروت، (د ط)، (د ت)، ج4، ص454.

حسان بن إبراهيم الكرماني العنبري، والإمام أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن يعقوب بن عبد الله الكرماني النيسابوري الشيباني الفقيه الحافظ المعروف بابن الأخرم[1].

2) شيوخه وتلامذته:

لم نجد في كتب التراجم سوى اسمه ومؤلفاته كما أنه لا توجد في كتاب "البرهان" أي إشارة إلى شيخ من شيوخه، ولكن بعد البحث وجدنا أنه أخذ عن والده أبي نصر حمزة بن نصر الكركانجي المروزي الإمام المقرئ، والأستاذ الكبير، له مصنفات كثيرة منها: كتاب التذكرة، وكتاب المعوّل[2]. هذا ما يعني أن الكرماني نشأ في بيئة دينية نشأة جعلت منه عالما ومفسرا وقارئا كبيرا.

كما وجدنا أيضا أن الكرماني روى القراءات عن المقرئ محمد بن حامد بن الحسين الخيامي الطوسي[3].

أما عن تلامذته فقد أغفلت المصادر كذلك ذكر من أخذ عن الكرماني، إلا أننا وجدنا رضي الدين أبا عبد الله محمد بن أبي نصر الكرماني صرّح أنه أخذ عن أبي القاسم محمود بن حمزة قائلا: « وسمعت شيخنا الإمام، تاج القراء، أبا القاسم محمود بن حمزة بن نصير قدس الله روحه العزيز يقول: (الصبِر) قراءة أبي عمرو، يعني بكسر الباء»[4].

كما أخذ عنه أبو عبد الله نصر بن علي بن أبي مريم[5].

---

1 ينظر: اللباب في تهذيب الأنساب،ابن الأثير الجزري (عز الدين)، مكتبة المثنى، بغداد، (د ط)، (د ت)، ج3، ص93.

2 ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري (شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد)، تح ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م ، ج2، ص66. وج1، ص239.

3 ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص102.

4 تاريخ القرآن، عبد الصبور شاهين، نهضة مصر، مصر، ط3، مارس2007م، ص16، نقلا عن: مخطوطة شواذ القراءات لرضي الدين الكرماني، ص270.

5 ينظر: غاية النهاية، ج2، ص 254.

ولعل السبب في إغفال ذكر شيوخه وتلامذته راجع إلى عدم تردد على مواطن التمدن وعلى أنه شديد التواضع كان منكبا على العلم، حتى أن علماء ومصنفي الطبقات لم يعرفوا كثيرا عن حياته، كما لم يقطعوا بسنة وفاته[1].

3) **مؤلفاته:** إن المتأمل في مؤلفات الكرماني يجد أنه لم يؤلف في غير علوم القرآن واللغة ؛ فله[2]:

أ- في علوم القرآن:

البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، ولباب التفاسير، وخط المصاحف، والهداية في شرح غاية ابن مهران في القراءات، وغرائب التفسير وعجائب التأويل.

ب- في علم اللغة:

الإفادة في النحو، الإيجاز في النحو اختصره من الإيضاح للفارسي، والعنوان، والنظامي في النحو وهذا الأخير مختصر من كتاب اللّمع لابن جني.

ت- وله من النظم[3]:

في موانع الصرف:

فمعرفةٌ وتأنيثٌ ونعتٌ ونــونٌ قبلها ألفٌ وجمعُ

وعُجمةٌ ثمّ تركيبٌ وعدلٌ وَوزْن الفِعل فالأسبابُ تسعُ

4) **وفاته:**

1 ينظر: البرهان، الكرماني، تح السيد الجميلى، ص9.

2 ينظر: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، صالح بن عبد الله الشثري، ص49.

3 ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج2، ص278.

تشير بعض الدراسات إلى أن الكرماني كان يعيش في آخر القرن الخامس وأول القرن السادس، وقد تتوزع حول تاريخ وفاته ولكن الأرجح أنه توفى بعد سنة خمسمائة وقيل سنة خمس وخمسمائة للهجرة، بينما يرجح محقق كتاب "البرهان" عبد القادر عطا أنه عاش في النصف الثاني من القرن السادس وهو زمن تدهورت فيه الدولة العباسية ونشطت فيه العديد من الفرق الهدامة كالقرامطة والمغول، وكان استمساك الكرماني بتقاليد الدراسة الإسلامية الخالية من الانحراف دليلا على سلامة عقيدته وقوته في دينه[1]، كما أشار محقق كتابه "غرائب التفسير وعجائب التأويل" إلى أنه توفى بعد خمس وثلاثين وخمسمائة لأنه كان حيا في تلك السنة (535هـ) ودليل ذلك قول ناسخ كتابه هذا في المجلد الأول: « قال سيدنا الشيخ الإمام ... أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر أدام الله أيامه وعصم ساحته عن المكاره والنوائب بحق محمد وآله»[2]، فمن الواضح أن عبارة (أدام الله أيامه) تفيد أن الكرماني حي وقت استنساخ الكتاب الذي ورد في آخره أنه كمُل في المحرّم سنة خمس وثلاثين وخمسمائة، وعلى ضوء ذلك لا تكون وفاته بعد الخمسمائة بقليل بل هي بعد535هـ أو خلالها[3].

ولم يترجم له سوى ياقوت الحموي في "معجم الأدباء"، فترجمته تعد الأم تناولها المترجمون بعده زاد عليها من زاد واختصر من اختصر، وكم هو أمر غريب أن يتناسى المؤرخون رجلا مثله ألّف في علوم اللغة والقرآن كتبا قيمة، لكن يبدو أن ملازمته لوطنه كرمان وعدم مفارقته له هو السبب في عدم شهرته بين المؤلفين، غير أن ما يدعو للشك حول ملازمته لبلده هو تلقيبه بتاج القراء إذ لو لم يفارق وطنه لما عرف وعرفت مكانته بين القراء.

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص12.

2 غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرماني، تح شمران سركال يونس العجلي، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، (د ط)، (د ت)، المجلد 1، ص34، نقلا عن مخطوط نسخة مكتبة: بني جامع السليمانية.

3 ينظر: المرجع نفسه، ص34.

المبحث الثالث:

كتاب "البرهان في توجيه متشابه القرآن"

1. سبب تأليف كتاب البرهان
2. موضوعه
3. منهجه
4. مصادره
5. قيمته العلمية
6. أثره فيمن بعده

بعد التعريف بالكرماني نعود إلى مدونة البحث وهي كتاب "البرهان في توجيه متشابه القرآن"، ووردت أيضا تسميته ب:" أسرار التكرار في القرآن الكريم"، و"البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان"، فما هو منهج الكرماني في كتابه؟ وما هي المصادر التي اعتمد عليها في تأليفه؟ وفيم تتمثل قيمته العلمية؟

كتاب "البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان" يعد امتدادا لكتاب " درة التنزيل وغرة التأويل" للخطيب الإسكافي، فالكرماني نقل كثيرا عن الخطيب ولكن أخذه عنه لم يكن أخذا مباشرا بل كان نقلا عن أبي مسلم الأصبهاني (هو أبو مسلم محمد بن محمد علي بن الحسين بن مهرايزد النحوي المعلم الأصبهاني ت459هـ، ألف تفسيرا في عشرين مجلدا)[1] في تفسيره، وقد صرّح الكرماني بذلك في مقدمة كتابه قائلا:« وقد قال أبو مسلم في تفسيره عن أبي عبد الله الخطيب في تفسيره كلمات معدودات منها، وأنا أحكي لك كلامه فيها إذا بلغت غليها، مستعينا بالله، ومتوكلا عليه»[2].

والكتاب مطبوع بعدة تحقيقات فقد حققه عبد القادر أحمد عطا، وهي النسخة التي اعتمدتها في دراستي، وهي الطبعة الأولى عام:(1406هم1986م) عن طريق دار الكتب العلمية بلبنان، كما حققه أحمد عز الدين عبد الله خلف سنة 1411هـ، عن طريق دار الوفاء بمصر، وحققه السيد إبراهيم الجميلى سنة 1415هـ عن طريق مركز الكتاب للنشر بمصر كما أن الكتاب حقق في دراسة علمية لنيل درجة الماجستير لناصر العمر بكلية أصول الدين بالرياض عام 1399هـ. وقد حصلت على النسخة التي حققها عبد القادر أحمد عطا ورقيا وحصلت على النسختين الأخريين إلكترونيا.

وكتاب "البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان" منه نسخ خطية في المكتبة التيمورية، ودار الكتب، والأزهر[3].

1 ينظر: بغية الوعاة، السيوطي، ج1، ص188.

2 البرهان، الكرماني، ص20_21.

3 ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1، ص112.

1) موضوع الكتاب:

حدّد الكرماني في مقدمة الكتاب موضوعه؛ وهو جمع الآيات المتشابهات الألفاظ وبيان الاختلاف بينها ثم توجيهه هذه الآيات إلى معناها وتخريجها انطلاقا من ذلك الاختلاف، وذكر سببها وفائدتها وحكمتها وقد جعله برهانا لما فيه من الحجة والبيان؛ يقول: «فإن هذا كتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك مما يوجب اختلافا بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان »[1]، ليبين سبب تكرار الآيات والفائدة من ذلك، ويذكر الموجب للزيادة والنقصان والتقديم والتأخير، ويظهر الحكمة من تخصيص آية بذلك دون أخرى، وإذا ما كان يصلح ما في هذه السورة مكان ما في السورة التي شاكلتها أم لا[2].

2) سبب تأليف الكتاب:

ذكر الكرماني سبب تأليف "البرهان" وهو أن العلماء قبله والذين عنوا بالمتشابه اللفظي اقتصروا فقط على جمع الآيات المتشابهات دون توجيهها وذكر عللها والفرق بين الآية ونظيرتها، موضحا ذلك في مقدمة الكتاب قائلا: « أفردت هذا الكتاب لبيان المتشابه، فإن الأئمة رحمهم الله تعالى قد شرعوا في تصنيفه واقتصروا على ذكر الآية ونظيرتها، ولم يشتغلوا بذكر وجوهها وعللها والفرق بين الآية ومثلها، وهو المشكل الذي لا يقوم بأعبائه إلا من وفقه الله لأدائه»[3]، ويفهم من كلامه هذا أنه لم يقف على كتاب الخطيب الإسكافي ولكنه عقّب بعد ذلك قائلا: « وقد قال أبو مسلم في تفسيره عن أبي عبد الله الخطيب في تفسيره

1 البرهان، الكرماني، ص 19_20.

2 ينظر: المرجع نفسه، ص20.

3 المرجع نفسه، ص20.

كلمات معدودات منها، وأنا أحكي لك كلامه فيها، مستعينا بالله ومتوكلا عليه»[1]، وهذا ما يدل على أنه أفاد من الخطيب ونقل عنه.

3) منهج الكرماني في "البرهان"

لقد حدد الكرماني منهجه في كتابه وأشار إليه في المقدمة حين قال: « فإن هذا كتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان... وأبين ما السبب في تكرارها، والفائدة في إعادتها وما الموجب للزيادة والنقصان، والتقديم والتأخير والإبدال، وما الحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى، وهل كان يصلح ما في هذه السورة مكان ما في السورة التي تشاكلها أم لا، ليجري ذلك مجرى علامات تزيل إشكالها، وتمتاز بها عن أشكالها»[2].

يبدو أن الكرماني انتهج منهج الإسكافي في كتابه منهج الإسكافي في الدرة، بمعنى أنه سار على درب المفسرين قبله إذ اعتمد على ترتيب السور والآيات كما في المصحف؛ فبدأ بسورة الفاتحة وختم بسورة الناس، فيذكر السورة ويعرض ما فيها من الآيات المتشابهات وما يشابهها من الآيات في السورة نفسها وفي باقي السور، حتى إذا ما انتهى من السورة انتقل إلى السورة التي تليها فيذكر الآية ثم يلحق بها ما شابهها من الآيات في السورة نفسها ثم في السور الأخرى، ويبين السر في اختصاص كل آية بما جاء فيها من لفظ مشابه للآيات الأخريات، وهو مأخوذ من طريقة الخطيب في كتاب الدرة، غير أن جهد الكرماني في جمع الآيات المتشابهات الألفاظ وتوجيهها كان أكثر دقة من الإسكافي وهذا الأمر لا يخفى على من اطلع على الكتابين[3]. ذلك أن الكرماني استدرك الكثير من الآيات التي فاتت الإسكافي.

1 البرهان، الكرماني، ص21.

2 المرجع نفسه، ص 19_20.

3 ينظر: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، الشثري، ص52.

وكان الكرماني إذا وقف على آية سبق وأن وجه ما فيها من متشابه لفظي مع غيرها في موضع سابق، أشار إلى ذلك بقوله "قد سبق" دون أن يقوم بتوجيهها مرة أخرى، لكنه لا يشير إلى ذلك الموضع السابق الذي تحدث فيه عنها[1].

كما اعتمد على مبدأ الإيجاز والاختصار الشديد يقول: « الخطيب أطنب في هذه الآيات، ومحصول كلامه أنّ...»[2]ومع ذلك كان يتميز بالدقة والوضوح في أغلبه، إلا أنه في بعض المسائل يوجز إيجازا شديدا وهي في الأصل تحتاج إلى بسط وتوضيح.

4) مصادر الكتاب:

عند اطلاعنا على كتاب الكرماني وجدناه نقل عن علماء كثر وهم إما مفسرون أو قرّاء أو علماء لغة وحتى الشعراء، وقد صرّح بذلك وذكر بعضهم؛ منهم[3]:

_جرير (ت110هـ)

_سيبويه (ت180هـ)

_الزجاج (ت311هـ)

_الخطيب الإسكافي (ت420هـ) وهو أكثر من نقل عنه

_أبو مسلم مهرايزد الأصبهاني (ت761هـ)

_ابن كثير(ت774هـ)

_الأخفش ولكنه لم يذكر إذا ما كان الأخفش الأكبر أم الأوسط أم الأصغر.

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص85، 92، 95.

2 المرجع نفسه، ص40.

3 ينظر: المرجع نفسه، ص55، 118، 137، 147، 203.

_ابن عباس (ت68هـ)

_الضحاك (ت106هـ)

_الكسائي (ت189هـ)

وغيرهم

وسنعرض فيما يأتي مجموعة من المصادر المتنوعة التي اعتمدها الكرماني في توجيه آي القرآن الكريم المتشابه لفظا في كتابه "البرهان":

أ- علوم القرآن وعلم القراءات:

وهذا من باب أن القرآن يفسّر بعضه، فنجده أحيانا يفسر آية بآية أخرى نحو: توجيهه لقوله تعالى: ﴿ (لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْنَاهُم فَتَمَتَّعُوا فَسَوفَ تَعْلَمُونَ) ﴾ [النحل55] وقوله في العنكبوت: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [66] بمعنى قل لهم تمتعوا كما في قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾[إبراهيم 30][1]، وأحيانا ينظر إلى أسباب نزولها وسياقها، ونجده أحيانا أخرى يرجع إلى كتب التفسير فالكتاب ثري بأقوال المفسرين وآرائهم نحو قوله: « وذهب جماعة من المفسرين...»[2]، أما عن علم القراءات فهو متخصص فيه فهو الملقب بتاج القراء؛ وقد تحدث في "البرهان" عن بعض الآيات المتشابهات الألفاظ التي ورد فيها أكثر من قراءة وبين سبب اختلاف القراء في قراءتها ليبين عن طريق اختلاف القراءة بعضا من جوانب الاختلاف بين الآيات المتشابهات، وقد ذكر في كتابه بعض القراء منهم: حمزة بن حبيب الزيات.

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص112.

2 المرجع نفسه، 24.

ب- كتاب "درة التنزيل وغرة التأويل" للخطيب الإسكافي:

وهو أبرز المصادر التي اعتمدها الكرماني في كتابه، ففي كثير من المواضع نجد الكرماني يذكر توجيه الخطيب للآية قبل أن يقوم هو بتوجيهها نحو: « سأل الخطيب نفسه عن هذه المسائل فأجاب عنها، وقال...»[1]، ويقول في مواضع أخرى: «قال الخطيب...»[2]وفي أغلب المواضع نجده يأخذ طريقه ويسلك مسلكه في توجيهها دون تصريح بذلك.

ت- علوم اللغة:

استشهد الكرماني كثيرا بآراء أئمة اللغة والنحو كالكسائي وسيبويه والزجاج، وبآراء علماء المدارس النحوية (البصرية والكوفية والبغدادية)، ويستند إليها في التوجيه يقول: « وفي تكراره قولان: قال علي بن عيسى...وقال قاسم بن حبيب...»[3]، كما استشهد بشواهد من الشعر.

ث- كتاب "لباب التفسير وعجائب التأويل" للكرماني:

ألف الكرماني هذا الكتاب قبل كتاب "البرهان"، وهو يحيل عليه كثيرا نحو: « وقد سبق بيانه في التفسير»[4] بل إن جل محتوى "البرهان" مبين في "لباب التفسير" الذي يقول عنه: « فإني بحمد الله قد بينت ذلك كله بشرائطه في كتاب "لباب التفسير وعجائب التأويل" مشتملا على أكثر ما نحن بصدده، ولكني أفردت هذا الكتاب لبيان المتشابه »[5].

---

1 البرهان، الكرماني، ص73.

2 المرجع نفسه، ص86، 99، 109، 113...

3 المرجع نفسه، ص21.

4 البرهان، الكرماني، ص203.

5 المرجع نفسه، ص20.

5) القيمة العلمية للكتاب

تتجلى القيمة العلمية لكتاب "البرهان" في مجموعة من النقاط نلخصها في:

أ- النظر إلى القرآن في وحدة متكاملة:

يُحسب للكرماني في "البرهان" تعامله مع القرآن الكريم كوحدة متكاملة، على غير ما جرى مع المؤلفين قبله والذين كانوا يتعاملون مع الآية كتعبير مفرد مستقل عما قبله، وما بعده، فقد استطاع الكرماني أن يوجه الآيات عن طريق ربطها بالآيات التي تسبقها أو التي تليها فبمثل هذا الوعي « سار الكرماني في كتابه مما يجعله أوفى كتاب بحث إعجاز الأسلوب القرآني، إذ درج المؤلفون على تلمسه في كلمة أو تعبير مفرد مقطوع عما قبله وما بعده، أما استيعاب الأسلوب والنظر إلى القرآن في وحدة متكاملة فهو الجديد في هذا الكتاب، وما ذلك إلا لأن هذه الملاحظة تعطينا الفهم الحقيقي لحكمة منزل القرآن سبحانه وتعالى في رعاية كل الاعتبارات والهيئات مما لا يتسنى لبشر على الإطلاق»[1].

ب- انفراده بتوجيه بعض المسائل دون غيره:

رغم أن الكرماني -كما أشرنا من قبل- أخذ عن الخطيب الإسكافي واتّبع طريقته ومنهجه في التوجيه بل نقل عنه في كثير من المواضع، وفي توجيه كثير من المسائل إلا أنه انفرد بتوجيه بعض الآيات التي لم يذكرها الخطيب مبديا رأيه فيها وهذا يحسب له، فقد أخذها عنه من ألّف بعده في هذا العلم؛ ومن القضايا التي انفرد بتوجيهها: قضية التذكير والتأنيث في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ﴾ [المدثر54] أي إن القرآن الكريم تذكير لهذا جاء الضمير

1 البرهان، الكرماني، ص16.

مذكرا، وقوله:﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ﴾ [عبس11] أي إنّ آيات القرآن الكريم تذكرة ولذلك جاء الضمير مؤنثا[1].

ت- أسلوب الإيجاز والاختصار:

تميز كتاب "البرهان" بالإيجاز والاختصار الشديد ومع ذلك فهو واضح، وهو دليل على أن الكرماني كان يروم لإخراج المعنى بأخصر عبارة؛ ذلك لأنه تناول بالتوجيه عددا كبيرا من الآيات المتشابهات الألفاظ كان عليه ألا يطنب في شرحها حتى يخرجها في كتاب مختصر وواضح في متناول الجميع، كما أنه ألّف قبل "البرهان" كتاب "لباب التفسير وعجائب التأويل" الذي تناول فيه المسائل الواردة في "البرهان" وأكثر مصرحا بذلك في مقدمة هذا الأخير ومثال على ذلك: عند توجيه قوله تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُم ﴾وقوله: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[آل عمران142]، وقوله:﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ ﴾ [التوبة16]، ذكر الكرماني أن الخطيب قد أطنب في توجيه الآيات وأنّه اختصر ذلك قائلا: « الخطيب أطنب في هذه الآيات، ومحصول كلامه: أنّ الأول للنبي والمؤمنين، والثاني للمؤمنين، والثالث للمخاطبين جميعا»[2]. فالخطيب كان قد وجه هذه الآيات في ست صفحات[3]، بينما اختصر الكرماني ذلك كله في بضعة أسطر مع الحفاظ على المعنى وتحقيقه.

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص190.

2 المرجع نفسه، ص40.

3 ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي، ص335_340.

ث- المنهج التطبيقي:

رغم أن الكرماني اعتمد على أسلوب الإيجاز والاختصار إلا أنه استطاع أن يحقق المنهج التطبيقي في دراسة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وهذا ما يحسب له فليس بالأمر الهين الجمع بين أسلوب الإيجاز والمنهج التطبيقي علاوة على ذلك الجمع بينهما في دراسة المشابه اللفظي في كتاب الله تعالى[1].

وأمّا عن أبرز ملامح المنهج التطبيقي في كتاب "البرهان" فهي تتجلى في: بحثه الدقيق في سياق الآيات المدروسة والآيات المجاورة لها وحتى البعيدة عنها ثم الرّبط بينها حتى يخرج بدلالة لفظية أو معنوية يستطيع من خلالها ضبط الفروق بين الآيات وتوجيه كل منها إلى معناها، فمثلا نجده كثيرا ما يقول: لموافقة ما قبله أو لموافقة ما بعده، أو لأنه في هذه السورة تقدم كذا؛ نحو: توجيه قوله تعالى: ﴿وَنُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾[البقرة 271]؛ قال فيها الكرماني: « في هذه السورة بزيادة (من) موافقة لما بعدها، لأن بعدها ثلاث آيات فيها (من) على التوالي وهي قوله: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ [272] ثلاث مرات»[2] نلاحظ أن الكرماني هنا حقق المنهج التطبيقي مع إيجاز واختصار دقيق وواضح وبسيط إضافة إلى ذلك بحثه في سياق الآية والآيات المجاورة لها والرّبط بينها.

6)أثر الكتاب فيمن بعده:

بعد أن عرفنا القيمة العلمية لكتاب "البرهان" لا بدّ أن يكون له تأثير بالغ فيمن بعده ممن ألّف في علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه، فقد « ذكر السيوطي كتاب البرهان

1 ينظر: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، الشثري، ص60_61.

2 البرهان، الكرماني، ص43.

في كتابه الإتقان... كما أن أحد العلماء المتأخرين وهو علي بن عطية الأجهوري المصري وقع على الكتاب فاستبطنه في كتابه "إرشاد الرحمن في أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمتشابه وتجويد القرآن"...وقد اقتبسه العلامة الشيخ زكريا الأنصاري وضم إليه مقتطفات من الأنموذج الجليل في غرائب التنزيل للرازي وجمعها في كتاب سماه فتح الرحمن »[1] وبالفعل قد ذكره أغلب أصحاب التراجم وأصحاب المصنفات في المتشابه اللفظي، ونقلوا عنه كثيرا من المسائل لكنهم أحيانا يصرحون بنقلهم عليه وأحيانا أخرى لا يصرحون، وفي بعض الأحيان يتصرفون في أقواله وفي بعضها لا يتصرفون؛ وأبرزهم:

- **زكريا بن محمد الأنصاري:** في كتابه "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن"، ونلحظ ذلك التأثر في التشابه الكبير بن الكتابين من حيث المنهج وأسلوب الإيجاز، ونقله نصوصا برمتهامن كتاب "البرهان" أحيانا يتصرف فيها وأحيانا دون تصرف ودون تصريح أو إشارة إلى صاحبها؛ ومثال على ذلك: توجيه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَٰرَىٰ وَالصَّٰبِـِٔينَ﴾ [البقرة62]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّٰبِـُٔونَ وَالنَّصَٰرَىٰ﴾[الحج17]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّٰبِـُٔونَ وَالنَّصَٰرَىٰ﴾[المائدة69] قال فيها الكرماني: « لأن النصارى مقدمون على الصابئين في الرتبة، لأنهم أهل كتاب، فقدمهم في البقرة، والصابئون مقدمون على النصارى في الزمان، لأنهم كانوا قبلهم، فقدمهم في الحج، وراعى في المائدة بين المعنيين وقدمهم في اللفظ، وأخرهم في التقدير، لأن تقديره والصابئون كذلك، قال الشاعر:

1 البرهان، الكرماني، ص13.

فإن يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقيار بها لغريـــب[1]

أراد: إنّي لغريب وقيار كذلك»[2]

أما الأنصاري في "فتح الرحمن" فيقول فيها قول الكرماني من غير أن يشير إليه: « إن قلت: لم قدم النصارى على الصابئين وعكس في المائدة والحج، قلت: لأن النصارى مقدمون على الصابئين في الرتبة لأنهم أهل كتاب فقُدِّموا في البقرة لكونها أولا، والصابئون مقدمون على النصارى في الزمن فقُدِّموا في الحج، وروعي في المائدة المعنيان فقُدِّموا في اللفظ وأُخِّروا في المعنى، إذ التقدير: والصابئون كذلك، كما في قول الشاعر:

ومن يك أمسى بالمدينة رحله فإنّي وقيار بها لغريــب

إذ التقدير: فإني لغريب بها، وقيار كذلك»[3]

• **بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي:** لقد تحدث الزركشي عن كتاب "البرهان" للكرماني في مقدمة كتابه "البرهان في علوم القرآن" عند حديثه عن علم المتشابه قائلا: « وقد صنّف فيه جماعة، ونظمه السخاوي وصنّف في توجيهه الكرماني كتاب "البرهان"»[4]، والزركشي في برهانه هذا كذلك نقل عن برهان الكرماني في كثير من المواضع ولم يصرّح أو يشر إلى صاحب النص _الكرماني_؛ ومثال على ذلك:

---

1 البيت من الطويل، وهو لضابئ بن الحارث البرمجي، من أبيات قالها في هجاء خصومه وهو في السجن زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد جاء في خزانة الأدب (فمن يك) ينظر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي (عبد القادر بن عمر)، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1403هـ/1982م، ج10، ص312.

2 البرهان، الكرماني، ص31.

3 فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، الأنصاري، ص15.

4 البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1، ص112.

توجيه قوله تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة23]، قال الكرماني في توجيهها: « بزيادة (من) في هذه السورة، وفي غيرها ﴿بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾[10: 38] لأن (من) تدل على التبعيض، ولما كانت هذه السورة سنام القرآن وأوله بعد الفاتحة، حسن دخول (من) فيها ليعلم أن التحدي واقع على جميع سور القرآن من أوله إلى آخره، وغيرها من السور لو دخلها (من) لكان التحدي واقعا على بعض السور دون بعض، ولم يكن ذلك بالسهل»[1].

أما الزركشي فقد نقل قول الكرماني هذا دون أن يحيل عليه، يقول: « في البقرة ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [23]، وفي غيرها بإسقاط (من) لأنها للتبعيض، ولما كانت سورة البقرة سنام القرآن وأوله بعد الفاتحة حسن دخول (من) فيها؛ ليعلم أن التحدي واقع على جميع القرآن من أوله إلى آخره، بخلاف غيرها من السور، فإنه لو دخلها (من) لكان التحدي واقعا على بعض السور دون بعض، ولم يكن ذلك بالسهل»[2]، وهذا يدل على أن الزركشي قد تأثر بكتاب "البرهان" للكرماني تأثرا كبيرا جعله ينقل عنه حتى دون تصرف في أقواله.

• **السيوطي:** ذكر السيوطي كتاب "البرهان" في مقدمة كتابه "الإتقان في علوم القرآن" عند حديثه عن علوم القرآن و والمؤلفات التي ألفت فيها، وقد قدّمه في الذكر عن "درة التنزيل وغرة التأويل" للخطيب الإسكافي رغم أن هذا الأخير أسبق في التأليف في علم المتشابه اللفظي وتوجيهه من الكرماني، يقول السيوطي بعد أن ذكر بعض أنواع علوم القرآن

1 البرهان، الكرماني، ص25.

2 البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1، ص115.

ومؤلفاتها: « ومن الكتب فيما سوى ذلك من الأنواع: البرهان في متشابه القرآن للكرماني، درّة التنزيل وغرة التأويل في المتشابه لأبي عبد الله الرازي»[1].

وما يظهر تأثر السيوطي بكتاب "البرهان" كثرة أخذه عنه لكنه كان يتصرف فيما ينقله عن الكرماني ومع ذلك لا يحيل عليه، وكذلك اعتماده على أسلوب الإيجاز والاختصار ومثال على ذلك:

توجيه قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾[البقرة187] وقوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾[البقرة229)، يقول السيوطي في توجيهها: « لأن الأولى وردت بعد نواه، فناسب النهي عن قربانها. والثانية بعد أوامر، فناسب النهي عن تعديها وتجاوزها بأن يوقف عندها»[2]، وهذا الكلام منقول من قول الكرماني: « لأن الحدّ الأول نهي، وهو قوله:﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾[البقرة187] وما كان من الحدود نهيا أمر بترك المقاربة، والحد الثاني أمر، وهو بيان عدد الطلاق بخلاف ما كان عليه العرب من المراجعة بعد الطلاق من غير عدد وما كان أمرا أمر بترك المجاوزة وهو الاعتداء»[3]، فالسيوطي نقل قول الكرماني وتصرف فيه مع الاختصار والإيجاز.

1 الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تح مركز الدراسات القرآنية، (د ط)، (د ت)، ج 1،ص35

2 المرجع نفسه، ج5، ص1871.

3 البرهان، الكرماني، ص39.

الـفـصل الثـــانـــي:

مسائل الصرف في كتاب "البرهان" للكرمانـي وأثرها فـي توجيه معنـى المتشابه اللّفظـي

تمهيد:

لكل علم موضوع يبحث فيه وموضوع علم الصرف هو الكلمات؛ من حيث هيئتها واشتقاقها والكيفيات التي تكون عليها لتدل على معان مقصودة طارئة، أو لا تدل على معان مقصودة طارئة كتغيير (قَوَلَ) إلى (قَالَ) تدل على معنى واحد فهو تغيير لا يراد به المعنى فالصرف هو العلم الذي تعرف به الأبنية العربية وما يطرأ عليها من تغيرات مما ليس بإعراب ولا بناء، ومما لا شك فيه أن علم الصرف كغيره من علوم اللغة العربية استمد روافده من القرآن الكريم، فلقد تضافرت جهود علماء اللغة لتتبع مختلف الظواهر الصرفية المتناثرة بين ثنايا كتاب الله تعالى للكشف عن الحدود الدلالية بين المفردات في السياق القرآني، فلكل كلمة صيغتها التي تفضي إلى دلالة خاصة بها لتكون هذه الدلالة مفتاحا للوصول إلى المعنى المقصود من الآية القرآنية، وإن المعنى الذي صح ببنية لفظ ما قد يسقط عند اختلاف بنية هذا اللفظ في آية أخرى حتى وإن اشتركت البنيتان في الجذر اللغوي، ولهذا وقع الاختيار في هذا الفصل على دراسة بعض المسائل الصرفية المتناثرة في كتاب "البرهان" للكرماني للكشف عن مدى تأثيرها على توجيه المعنى في الخطاب القرآني، وتتمثل هذا المسائل في:

1. الصيغة
2. التذكير والتأنيث
3. التعيين

ونقصد بدراسة هذه المسائل ملاحظة تغيراتها بين التركيبات المتشابهة، ومن بعدها الوقوف على تلكم التغيرات والبحث عن دلالاتها بين كتب اللغة والتفسير من أجل توجيه الآية إلى معناها المختلف عن معنى شبيهتها.

المـبحـــث الأول

الصـــيغة

لا بد أن كل زيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى، لأن الارتباط بين الشكل والوظيفة هو اللغة وهو صلة المبنى بالمعنى[1]. فالأصوات تابعة للمعاني؛ متى قويت الأصوات قويت المعاني، ومتى ضعفت ضعفت؛ ومثال على ذلك قولهم: قطَع وقطَّع، وكسَر وكسَّر، فقد زادوا في الصوت لزيادة المعنى، كما اقتصدوا فيه لاقتصادهم فيه[2].

وبما أن الألفاظ أدلة المعاني، فإنه إذا زيد في اللفظ شيء أوجبت القسمة للمعنى الزيادة به وكذلك إذا انحرف به عن سمْته وطريقته كان دليلا على حادث متجدد له، وخاصة إذا كان ذلك زائدا فيه لا منتقصا منه[3].

وفي ضوء ذلك وضعنا هذا المبحث خصيصا لتوجيه كل آية وشبيهتها في القرآن الكريم إلى معناها انطلاقا من دراسة علاقة مبنى الكلمة وصيغتها بمعناها، سواء أكانت هذه الكلمة اسما أم فعلا، وبيان كيف أن اختلاف صيغتي المفردتين يولد اختلاف المعنى بينهما ومنه اختلاف معنى كل آية عن معنى شبيهتها في اللفظ، لأننا نجد اللفظ يرد في آية ما بهيئة ما ويرد في آية أخرى بهيئة أخرى، ولا نظن أن هذا الاختلاف يأتي في القرآن الكريم اعتباطا.

1 ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، المغرب، (د ط)، 1994م، ص9.

2 ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني (أبو الفتح عثمان)، تح علي النجدي ناصف وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار سزكين للطباعة والنشر، ط2، 1406هـ/1986م، ج2، ص210.

3 ينظر: الخصائص، ابن جني،تح محمد علي النجار، المكتبة العلمية، (د ط)، 1371هـ/ 1952م، ج3، ص268.

1.سورة البقرة

أ- توجيه اختلاف وزني الفعلين (تبع) و(اتّبع)

جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴿38﴾﴾ [البقرة38]، وجاء في قوله:﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴿123﴾﴾ [طه123]:

ذهب الغرناطي إلى أن **(تبع)** و**(اتّبع)** محصلان للمعنى على الوفاء، و(تبع) هو الأصل و(اتّبع) فرع عنه لأنه يزيد عليه بمقتضى التضعيف، وهذه الزيادة في المبنى تنبئ عن زيادة في المعنى؛ فتَبِعَ وزنه (فَعِلَ) يدل على الإتباع من غير تعمّل ولا تكلّف ولا مشقّة، أما اِتَّبَعَ فإن بنية (اِفْتَعَلَ) تنبئ عن تعمّل وتحميل للنّفس، لذلك قدم في الترتيب المتقرر ما لا تعمُّل ولا تكلُّف فيه، وأخّر (اتّبع) لما يقتضيه من الزيادة، كما أنه لم تكن إحدى العبارتين لتعطي معنى الاثنين لذلك قدّم ما هو أصل وأخّر ما هو فرع وكلاهما هدى ورحمة[1].

أما الكرماني فيرى أن **(تبع)** و**(اتّبع)** بمعنى واحد، وإنما اختار في طه صيغة (اتّبع) موافقة لقوله تعالى:﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ ﴾ [طه108][2]. ذلك أنه لما بنيت من أول الأمر

1 ينظر: ملاك التأويل التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل، ابن الزبير الغرناطي (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الثقفي)، تح عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، ص30.

2 ينظر: البرهان، الكرماني، ص27.

على التأكيد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ١١٥﴾[طه115]، ناسب اختصاصها بالزيادة المفيدة للتأكيد فقال (اتّبع)[1].

ونحسب أن رأي الغرناطي أكثر تأثيرا من رأي الكرماني؛ إذ إن القرآن الكريم نزل متحديا لفصاحة العرب، ولا بد أن اختلاف مبنى الفعلين (تبع) و(اتّبع) ينبئ عن اختلاف في دلالتيهما، ذلك أن العرب « لما جعلوا الألفاظ دليلة المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل »[2]،فمعنى « اِفْتَعَلَ: المطاوعة والمبالغة، نحو: اِكْتَسَبَ، والمشاركة، نحو: اِخْتَصَمُوا»[3]فقدم ما هو أصل (تبع)، وأخر ما هو فرع (اتّبع)؛ نحو: كسّر وقطّع هما لفظان يفيدان معنى الحدث، لكن صورتيهما تفيدان شيئين، أحدهما: الماضي، والآخر: تكثير الفعل[4]، وهو الأمر مع (تبع) و(اتّبع) فكلاهما يفيد معنى الحدث وهو الوفاء، لكن صورتيهما تفيدان اختصاص كل واحد بمعنىً يختلف عن الثاني ف(اتّبع) زاد عدد حروفه عن (تبع) لزيادة المشقة والكلفة فيه.

1 ينظر: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، الأنصاري، ص10.

2 الخصائص، ج2، ص155.

3 شرح القصيدة الكافية في التصريف، جلال الدين السيوطي، تح ناصر حسين علي، المطبعة التعاونية، دمشق، (د ط)، 1409 هـ/ 1989م، ص28.

4 ينظر: الخصائص، ابن جني، ج3، ص101.

ب- علة اختلاف صيغة جمع خطيئة ب (خطايا) في البقرة، وبصيغة (خطيئات) في الأعراف

قالعز وجل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ يُغْفَرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿58﴾﴾ [البقرة58]، وقال أيضا: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿161﴾﴾[الأعراف161]:

جعل جلّ وعلا صيغة جمع التكسير **(خطايا)** الذي يدل على الجمع الكثير في آية سورة البقرة، حينما نسب الإخبار إلى نفسه فقد قال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا ﴾[البقرة58]، ومغفرة الخطايا الكثيرة أليق في الآية بإسناد الفعل إلى نفسه سبحانه[1].

أما الجمع السالم **(خطيئات)** فهو للقليل، والدليل على ذلك أنك إذا أردت أن تصغر لفظ دراهم فإنك تعود إلى مفرده درهم، فتقول: دُرَيْهِم، ثم تجمعه على اللفظ القليل للتصغير فتقول: دُرَيْهِمَاتْ، وكذلك الحال مع الخطايا، فإننا نعود إلى مفردها خَطيئة، ثم نصغرها على خُطيئة، وجمعها خُطيئات، ولما ظهر الفرق بين الجمع السالم خطيئات الدال على القلة وجمع التكسير خطايا الدال على الكثرة، فقد استعمل ما دل على الكثير في الموضع الذي نسب فيه الإخبار إلى نفسه في سورة البقرة، وقرن الإخبار عن نفسه بما يليق بجوده وكرمه

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص29.

في غفران الخطايا كلها على كثرتها. ولما لم يسمِّ الفاعل في آية الأعراف ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ﴾ [الأعراف161]، فإنه وضع فيها اللفظ الأقل دلالة على الكثرة[1].

أما الغرناطي فذهب إلى أن جمع التكسير (خطايا) الدال على الكثير وضع ليناسب ما بنيت عليه آيات سورة البقرة من تعداد النعم والآلاء قال تعالى:﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿47﴾ ﴾ [البقرة47]. أما الجمع بالألف والتاء في الأعراف فقد ناسب ما جاء فيها من أن آياتها لم تبن على قصد تعداد النعم، فجاء كل على ما يناسب[2].

وكل التوجيهات السابقة تظهر اعتماد أصحابها على القاعدة النحوية في التوجيه، وذلك انطلاقا ممّا تحمله صيغة جمع التكسير من معنى الكثرة، وما تدل عليه صيغة الجمع السالم من القلة.

ت- الغاية من اختلاف صيغتي الجمع(النبيين)، و(الأنبياء)

جاء في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿61﴾ ﴾ [البقرة61]، وجاء في قوله:﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿155﴾ ﴾[النساء 155]:

1 ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي، ج1، ص235_237.

2 ينظر: ملاك التأويل، الغرناطي، ص38.

يرى الكرماني أن جمع السلامة (النبيين) في آية سورة البقرة جاء لموافقة ما بعده من جموع؛ نحو (الصابئين) في الآية (62)، بخلاف (الأنبياء)[1]في سورة النساء فلا يوجد جموع تقتضي الموافقة. فلا فرق بين جمع السلامة (النبيين) وجمع التكسير (الأنبياء) في الدلالة لأن الجمعين إذا كانا معرّفين ب(ال) تساويا بخلاف حاليهما نكرتين؛ فجمع السلامة إذا كان نكرة دل على القلة في المجموع، أما جمع التكسير على أفعلاء إذا جاء نكرة فيدل على الكثرة[2].

أما الغرناطي في "ملاك التأويل" فيرى أن جمع السلامة خاص بأولي العلم، بينما جمع التكسير يتسع لأكثر من ذلك فهو يشمل أولي العلم وغيرهم؛ فكان في آية سورة البقرة جمع السلامة مناسبا من جهتين: إحداهما شرف الجمع لشرف المجموع، والأخرى: زيادة المد لزيادة أداة التعريف في لفظ (الحق)، أما في سورة النساء فلم يتحقق إلا شرف المجموع وكانت العرب تتسع في جمع التكسير فتوقعه على أولي العلم وعلى غيرهم؛ فأتى بجمع التكسير هنا حتى تتحقق اللغتان، وكي لا يبقى على من تحدى بإعجاز القرآن حجة فهم

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص30_31.

2 ينظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تح عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ/1993م، ج1، ص399.

مخاطبون بما هو موجود في لغاتهم، فلا يحصر الخطاب على أحد الجائزين في لغتهم دون الآخر، إلا ألا يتكرر ذلك فإنه يرد على أحد الجائزين[1].

ولا بد أن جمع (النبي) ورد مختلفا بين الآيتين لاختلاف سياقيهما؛ فقتل (الأنبياء) أمر أعظم وأسوأ من قتل (النبيين) دلّ على ذلك قوله تعالى في سورة آل عمران:﴿ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ١١٢ ﴾ [آل عمران112]، فقد قال: (ضربت عليهم الذلة)، ثم قال بعدها: (ضربت عليهم المسكنة) كرر مؤكدا استحقاقهم الذلة والمسكنة، على عكس ما في آية سورة البقرة فقد جمعهما في قوله: (ضربت عليهم الذلة والمسكنة)، لأن فعلهم في قتل (الأنبياء) أشنع لكثرتهم وعمومهم، ما يعني أنه سبحانه وتعالى استخدم جمع التكسير للدلالة على الكثرة العامة، وجمع السلامة للدلالة على القلة الخاصة.

1 ينظر: ملاك التأويل، الغرناطي، ص42_43.

ث- توجيه ذكر (معدودة) بصيغة الإفراد في آية البقرة، وبصيغة الجمع (معدودات) في آية آل عمران

جاء في قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿80﴾﴾[البقرة80]، وجاء في قوله تبارك وتعالى:﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿24﴾﴾[آل عمران24]:

يستثنى من قاعدة صفة الجمع: جمع غير العاقل إذ يجوز أن يوصف بمفرد مؤنث؛ معنى ذلك أن الاسم إذا كان مذكرا فالأصل في صفة جمعه هو: المفرد المؤنث؛ نحو كتب مفيدة لكن هذا الأصل ليس مطردا فقد تأتي صفة الجمع لما كان مفرده مذكرا بالألف والتاء؛ نحو: جمل وجمالات.

وعلى هذا الأساس يوجه الكرماني اختلاف صيغة العدد بين الآيتين بأن الأصل في الجمع إذا كان واحده مذكرا أن يقتصر في وصفه على التأنيث المفرد، وقد يأتي وصفه مؤنثا مجموعا لكنه ليس بأصل، فمفرد أيام هو يوم لذلك جاء وصفه في البقرة (معدودة)؛ نحو قوله:﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿13﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿14﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿15﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿16﴾﴾[الغاشية 13_16]، فقد قال: مرفوعة، وموضوعة، ومصفوفة، ومبثوثة، وقد تأتي سرر مرفوعات إلا أنه ليس بالأصل. لذلك فقد جاء في البقرة على الأصل﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾[البقرة80] وفي آل عمران على الفرع ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ [آلعمران24]، وتقديره: في ساعات أيام معدودات[1] وقيل هي أيام التشريق ف(معدودات) جمع مؤنث سالم يدل على القلة، فكل عدد قل أو كثر

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص32.

فهو معدود، لكن (معدودات) أدل على القلة، لأن كل قليل يجمع بالألف والتاء نحو: دريهمات وجماعات، وما جعل ما جمع بالألف والتاء يدل على القلة أنه يلي التثنية؛ نحو: حمام وحمامان وحمامات[1]، قال بعض النحويين في جوع القلة[2]:

بأفعل وأفعال وأفعلة وفعلة يعرف الأدنى من العدد

وسالم الجمع أيضا داخل معها في ذلك الحكم فاحفظها ولا تزد[3]

فقد عيب على حسان بن ثابتقوله: الجفنات في:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما[4]

واعتراض النابغة على حسان بقوله: قللت جفانك وسيوفك فيه دليل على أن المجموع بالألف والتاء جمع قلة[5].

1 ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم)، تح عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ/1988م، ج1، ص375_376.

2 الأشباه والنظائر في النحو، السيوطي، ج2، ص162.

3 البيتان لأبي الحسن الدّبّاج وهو علي بن جابر بن علي الإشبيلي، ينظر، خزانة الأدب، ج8، ص106.

4 البيت من الطويل، لحسان بن ثابت في ديوانه (ديوان حسان بن ثابت الأنصاري)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ/1994م، ص219. وفي خزانة الأدب، ج8، ص106.

5 ينظر: خزانة الأدب، البغدادي، ج8، ص106.

لأن المراد في آل عمران (اذكروا) أي أن يكبروا في اليوم الواحد في أدبار الصلوات الخمس فحذفت الساعات وأقيم مقامها المضاف إليها، وكذلك قوله:﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾[الحج28][1].

2.سورة النساء

أ- توجيه اختلاف صيغتي (يشاقق) و(يشاقّ) بين الفكّ والإدغام

جاء في قوله عز وجل:﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء115]، وجاء في قوله أيضا: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٣﴾ [الأنفال13]، وجاء في قوله أيضا:﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٤﴾ [الحشر4]:

أجاب الكرماني عن سرّ الإدغام وتركه في لفظي (يشاقق) و(يشاقّ) بأنه: إذا التقى حرفان متماثلان في كلمة وتحرك ثانيهما بحركة لازمة، وجب إدغام الأول في الثاني؛ والألف واللام في (الله) لازمتان، لذلك صارت حركة القاف لازمة، على عكس الألف واللام في (الرسول). أما مجيء (يشاقق) في الأنفال بالإظهار فذلك راجع إلى انضمام (الرسول) إلى (الله) في العطف، والواو أوجبت ذلك، لأن التقدير في القافات اتصل بهما (الله) و(الرسول)[2].

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص32.

2 ينظر: المرجع نفسه، ص52_53.

ونظن الكرماني نقل فكرته عن الخطيب الذي يرى أن الأصل: إذا قويت الحركة في القاف أن تدغم؛ ومثّل لذلك بقولك: أردد مكان ردّ، ولا يجوز قولك للاثنين: أردا، وللجماعة أرددوا بل تقول: ردّا، وردّوا. فقوله تعالى: (ومن يشاقّ الله) قد قويت حركة القاف به لأنها لاقت كلمة لزم أولها السكون في اللام الأولى من (الله)، فهرب من ثقل التضعيف إلى التخفيف بالإدغام حتى يرفع اللسان عن الحرفين دفعة واحدة؛ وهو ما أشار إليه سيبويه بقوله: « اعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهم وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد...فلما صار ذلك تعبا عليهم أن يداركوا في موضع واحد ولا تكون مهلة، كرهوه وأدغموا، لتكون رفعة واحدة، وكان أخفّ على ألسنتهم مما ذكرت لك»[1]، وليس كذلك في قوله تعالى: (ومن يشاقق الله ورسوله) لأن القاف قد تلاقي ما يتعلق بها متحركا وهو (رسوله) فالتقدير: ومن يشاقق رسوله؛ فالقاف هنا اتصل بالمتعاطفين جميعا، وهكذا لم تخلص القاف إلى ما يقوي حركتها كما في الأول. أما عن قوله تعالى في النساء:﴿ وَمَنۡ يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ ﴾[115]، فليس الساكن الذي تلاقيه القاف من لفظ (الرسول) كالساكن الذي لاقته من لفظ (الله) إذ يمكن القول: ومن يشاقق رسول الله، فيحذف الساكن وتلاقي القاف متحركا فتفقد قوة حركتها[2].

وكذلك قال الغرناطي، فقد أشار إلى أن الإدغام فرع وليس أصلا، فهو من العوارض التي تطرأ على الكلام؛ وبالتالي فهو يخضع لمقتضى الحال، وهو يأتي لغرض التخفيف ولم يطرأ

1 الكتاب، سيبويه (عمرو بن عثمان)، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1402ه/1982م، ج4، ص417.

2 ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، ج3، ص1260_1263.

عليه في النساء ما يستدعي التخفيف، لذا جاء على الأصل وهو الإظهار. أما في سورة الحشر فقد تقدم الإدغام في الماضي بقوله : (ذلك بأنهم شاقّوا الله ورسوله) لأنه لم يسمع في الماضي غير تلك اللغة، لذلك تقدم الماضي مدغما، فلما جاء قوله تعالى: (ومن يشاقق الله ورسوله) كان قد حصل الإدغام قبله في الماضي، وكان أن وردت نسبة المشاقة لله ورسوله بالعطف بالواو الجامعة وهو ما يناسب الفك؛ وهنا استدعى الموضع داعيان: أحدهما حصول الإدغام قبله، والثاني العطف الذي يستدعي الفك، فكان أن يراعى السبب البَعْدِيُّ لأنه أقوى في الرعي، فروعي ما بعده من العطف فلم يدغم[1].

3.سورة الأنعام

أ- وجه اختلاف صيغتي الفعلين (يتضرعون) و(يضّرعون)

ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ٤٢﴾[الأنعام42]، وورد في قوله أيضا: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ٩٤﴾[الأعراف94]:

علل الكرماني وجه فكّ الإدغام في آية الأنعام بموافقة ما بعده من قوله عز وجل: ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ ٤٣﴾[الأنعام43]، ففعل المستقبل من (تضرعوا): (يتضرعون)[2].

1 ينظر: ملاك التأويل، الغرناطي، ص108_109.

2 ينظر: البرهان، الكرماني، ص64.

في حين ناقش الغرناطي جيدا قضية إدغام تاء التفعل في فاء الكلمة، مبينا أن العرب تراعي مجاورة الألفاظ؛ فتحمل اللفظ على اللفظ المجاور له لمجرد المشابهة اللفظية حتى وإن اختلف المعنى، وقد تتبع سيبويه تلك المراعاة لتجاور الألفاظ فوجد أنهم يُتبعون الألفاظ بعضها وقال في ذلك: « ولا تقول عولةٌ لك إلا أن يكون قبلها ويلةٌ لك، ولا تقول عولٌ لك حتى تقول ويلٌ لك؛ لأن ذا يتبع ذا، كما أن ينوؤك يتبع يسوؤك، ولا يكون ينوؤك مبتدأ»[1]؛ وماضي الفعل (يتضرعون) من الضراعة فلا إدغام فيه، وإنما تقول تضرع إذ لا يوجد فيه حرف مضارعة يسوّغ الإدغام؛ فلما ورد في قوله عز وجل:﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ ﴿43﴾ ﴾[الأنعام43] ولا إدغام فيه، جاء الأول مفكوكا مراعاة لمناسبة الثاني. أما ما في الأعراف فلم يرد فيها ما يستدعي الفك لذلك جاء الفعل (يضّرعون) مدغما للتخفيف[2].

ومن جهة أخرى قدم فاضل السامرائي توجيها آخر يبين فيه ارتباط طول وبناء الكلمة بطول الحدث واستمراريته؛ وذلك أنه لما جاء في الأنعام قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾[الأنعام42] دلّ على تطاول الإرسال على مدى التاريخ، فطال حدث الإرسال واستمر؛ فجاء بناء الكلمة بما هو أطول، فقال: **(يتضرّعون)**، أما في الأعراف فقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ ﴾[الأعراف94] ناسبه ما هو أقصر بناء فقال: **(يضّرّعون)**؛ لأن الإرسال إلى القرية والأمم أكثر من القرية[3].

1 الكتاب، سيبويه، ج1، ص332.

2 ينظر: ملاك التأويل، الغرناطي، ص161.

3 ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، ط2، 1427هـ/2006م، ص39.

ومن ناحية أخرى أنه تعالى استعمل في الأنعام **(أرسل إلى)** بينما استعمل في الأعراف **(أرسل في)** والإرسال إلى شخص ما يقتضي التبليغ دون المكث، لأنك قد ترسل رسالة إلى شخص فيبلغها ويرجع دون مكوث، على عكس الإرسال في القرية أو المدينة فإن النبي يمكث بين أهلها يبلغهم الرسالة لأن (في) تفيد الظرفية، ومكوث النبي بين القوم يذكرهم بعبادة الله ويريهم آياته أمر يدعو إلى زيادة التضرع والمبالغة فيه؛ فجاء (يضّرّعون) بالصيغة الدالة على المبالغة والإكثار من الحدث[1].

4.سورة الأعراف

أ- علة اختلاف صيغتي الفعلين (يرسل) و(أرسل) بين ماض ومضارع

جاء في قوله جل وعلا: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ نُشُرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٥٧ ﴾[الأعراف57]، وجاء في قوله:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٨ ﴾ [الروم48]، وقال أيضا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ نُشُرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ٤٨ ﴾ [الفرقان48]، وجاء في قوله أيضا: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩ ﴾ [فاطر9]:

1 ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، ص39.

جاء في سورة الأعراف الفعل (يرسل) بصيغة المستقبل؛ لأنه ذكر قبلها الخوف والطمع وهما لا يكونان إلا في المستقبل، قال جل وعلا: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف56]، فالفعل (ادعوه) جاء بصيغة الأمر لكنه ينبئ عن وقوع الحدث في المستقبل كقوله تعالى:﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾[البقرة48][1]. فجاء (يرسل) بلفظ المستقبل أليق بما سبقه، والأمر نفسه في سورة الروم إذ قال تعالى:﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[الروم46]، فجاء (يرسل) بلفظ المستقبل موافقة لما قبله[2].

بينما في الفرقان كثر استخدام الماضي؛ نحو:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ [45]، ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾ [47]، ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [53]، ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [54]، فكان الفعل (أرسل) بصيغة الماضي أليق بها، لأن الماضي يدل على تحقق الأمر وثباته وأن الحدث صار واقعا، كما يشير إلى أن الحدث وقع في الماضي على أنه أمر تكرر وقوعه مرات عديدة؛ نحو: أشرقت الشمس وطلع

1 ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1406هـ/1986م، ص157.

2 ينظر: البرهان، الكرماني، ص74.

القمر[1]، و(أرسل) فعل ماضٍ لكن كثر وقوعه وتردده لأن الله تعالى كثيرا ما أرسل الرياح لتثير السحاب فتأتي بالغيث لتحيي به الأرض فتخرج ما بها من خيرات. والأمر نفسه في سورة فاطر فقد بني الكلام على أول السورة:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿1﴾ ﴾[فاطر 1] ف(فاطر) و(جاعل) في هذه الآية بمعنى الماضي لا غير، فبني على ذلك فقال: (أرسل) بلفظ الماضي ليكون مناسبا لما قبله[2].

ب- توجيه اختلاف صيغة الفعل (أنصح) عن صيغة اسم الفاعل (ناصح)

قال تبارك وتعالى: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿62﴾ ﴾ [الأعراف62]، وقال أيضا: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿68﴾ ﴾[الأعراف68]:

علة ذلك أن ما في قوله: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾ [الأعراف62] بلفظ المستقبل (أبلغكم) فعطف عليه بلفظ المستقبل (أنصح لكم)، كما في قوله: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿79﴾ ﴾[الأعراف79]، فحين جاء اللفظ في الماضي (أبلغتكم) عطف عليه بلفظ الماضي

1 ينظر: الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، مطبعة العاتي، بغداد، (د ط)، 1386هـ/1966م، ص28.

2 ينظر: البرهان، الكرماني، ص74_75.

(نصحت لكم). أما ما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٞ ﴿68﴾﴾ [الأعراف68] فقد قابل فيه الاسم بالاسم على قولهم: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿66﴾﴾[الأعراف66][1].

ومن المعلوم أن الفعل يدل على الحركة والتجدد، بينما الاسم يدل على الثبوت، « وبيانه أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء، وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء»[2]، وقد سبق قوله: ﴿ وَأَنصَحُ لَكُمۡ ﴾ [الأعراف62] قولهم:﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿60﴾﴾ [الأعراف60]، والضلال من صفات الفعل، تقول: ضلّ فهو ضال، وسبق قوله: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٞ ﴾ [الأعراف 68] قولهم: ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ ﴾[الأعراف66]، أما السفاهة فهي من صفات النفس وهي ضد الحلم وهو معنى ثابت، فكان جواب من عِيب بفعل مذموم نفيه بفعل محمود، وجواب من عِيب بصفة مذمومة نفيها بصفة محمودة؛ « فنوح قال ما يدل على أنه غير مقلع عن النصح للوجه الذي تقدم، وهود قال ما يدل على أن نصحه لهم وصف ثابت فيه متمكن منه، وأن ما زعموه سفاهة هو نصح»[3]، أي أن نوحا قال: لست ضالا وإنما أنا رسول من رب العالمين، أبلغكم رسالاته وأنصح لكم، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿61﴾ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿62﴾﴾ [الأعراف61_62] فنفى فعل الضلالة بتلك الأفعال، أما

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص76.

2 دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص174.

3 تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، (د ط)، 1984م، ج8، ص203.

هود فقد نفى صفة السفاهة الثابتة بصفات ثابتة هي الأخرى في قوله: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ ﴿68﴾ ﴾[الأعراف68] أي أنا ثابت لكم على النصح[1].

ت- توجيه اختلاف صيغتي الفعلين (أُبَلِّغُكُمْ) و(أَبْلَغْتُكُمْ) بين الماضي والمضارع

ورد في قوله عز وجل: ﴿ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿62﴾ ﴾ [الأعراف62]، وورد في قوله أيضا: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿79﴾ ﴾ [الأعراف79]، وأيضا قوله: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿93﴾ ﴾ [الأعراف93]:

جاء الفعل (أبلّغكم) في قصتي "نوح وهود" بلفظ المستقبل لأنه وقع في ابتداء الرسالة والدعوة إذ قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿61﴾ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿62﴾ ﴾ [الأعراف61_62]، فهو يخبرهم عما سيفعله معهم بدعوتهم إلى عبادة الله وحده وأنه سيبلغهم رسالات ربه، أما في قصتي "صالح وشعيب" فقد جاء بلفظ الماضي (أبلغتكم) لأنه وقع في آخر الرسالة والدعوة، وقرب وقوع العذاب فهو يسرد عليهم أحداثا وقعت وانقضت ويتوقع تحقق نتيجة إعراضهم، واتصال الفعل الماضي ب(قد) يكسبه دلالة تحقيق النتيجة؛ كقول ابن زيدون:

1 ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي، ج2، ص604_606.

لَقَدْ بَلَّغَتْنِي دَواعِي هَواكِ إِلَى غَايةٍ مَا جَرَتْ لِي بِبَالِ[1]

و(قد) إذا دخل على الماضي فلا بد من معنى التحقيق والتقريب من الحال مع التوقع؛ أي حصول ما نتوقع حدوثه قبيل الكلام، ومنه قول المؤذن: قد قامت الصلاة[2].قال عز وجل: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿78﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿79﴾ ﴾[الأعراف78_79]، وقال أيضا:﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿93﴾ ﴾[الأعراف93][3].

ث- علة جمع (رسالة) على (رسالات)في جميع القصص، وعلة إفرادها (رسالة) في قصة صالح

ورد في قوله تعالى:﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿62﴾ ﴾[الأعراف62]، وقال أيضا: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿68﴾ ﴾وورد في قوله أيضا: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ

1 البيت من المتقارب وهو لابن زيدون في ديوانه: (ديوان ابن زيدون) ، ابن زيدون (أحمد بن عبد الله المخزومي)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1415هـ/ 1994م، ص224.

2 ينظر: شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، الرضي الإستراباذي، تح يحي بشير مصري، الإدارة العامة للثقافة والنشر بالجامعة، ط1، 1417هـ/ 1996م، المجلد1، ص1389.

3 ينظر: البرهان، الكرماني، 76.

ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿93﴾ ﴾ [الأعراف93]، وقال:﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿79﴾ ﴾[الأعراف79]:

في قصة صالح ذكرت الناقة في قوله تعالى: ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿77﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿78﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿79﴾ ﴾[الأعراف77_79]، فكأنها رسالة واحدة وهي معجزة الناقة، أما باقي القصص فذكر فيها: الإيمان بالله ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿59﴾ ﴾[الأعراف59]، والتقوى﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿65﴾ ﴾ [الأعراف65]، والعدل وإيفاء الكيل والميزان ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡۖ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿85﴾ ﴾[الأعراف85]، كما وردت في قصصهم أشياء أخرى أمروا قومهم بها؛ فكانت وكأنها عدة رسالات بخلاف رسالة صالح[1]، أي باعتبار ما أوحي إليه وما أوحي إلى من قبله.

لكن لماذا جاءت صيغة الجمع على وزن(رسالات) لا (رسائل)؟ كما قال ابن مالك:

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص76.

وَبِفَعَائِلَ اجمعن فَعَالَة وشبهه ذا تاء أو مُزَالة

فابن مالك في قوله يشير إلى أن كل رباعي بمدة قبل آخرة، مؤنثا بالتاء أو مجردا منها على وزن (فِعالة) يكون جمعه على وزن (فَعَائِل)؛ نحو: سحابة وسحائب، ورسالة ورسائل وشمال وشمائل، وهو جمع كثرة (منتهى الجموع)، أي لما فوق العشرة[1].

مع ذلك جاء لفظ (رسالات) مجموعا جمع مؤنث سالم للدلالة على القلة لأن ما جاء على (فِعالة) تكسّره على (فعائل) فتقول: جنائز، ورسائل، وكنائن، والواحد منها: جِنازة، ورِسالة وكِنانة، ولا يمتنع شيء مما سبق أن يجمع بالتاء إذا أريد ما يكون لأدنى العدد، فتقول إذا جمعت بالتاء: رِسالات، وكِنانات، وجِنازات[2].

ج- توجيه اختلاف صيغة الفعل (أنجيناه) عن صيغة (نجّيناه)

جاء في قوله جل وعلا:﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿64﴾ ﴾ [الأعراف64]، وجاء في قوله أيضا:﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿73﴾ ﴾ [يونس83]:

ذهب الخطيب إلى أن (أنجيناه) هو الأصل لأن (أفعلت) في باب النقل أصل ل(فعلت) وهو الكثير المطرد، أما (فعّلت) فهو من قليل الاستعمال حتى أنه يمكن عدّه؛ نحو: فزع

1 ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل (بهاء الدين)، دار التراث، القاهرة، مصر، ط20، 1400هـ/1980م ، ج4، ص131.

2 ينظر: الكتاب، سيبويه، ج3، ص610_611.

وفزّعته، وخاف وخوّفته[1]، « تقول: دخل وخرج وجلس، فإذا أخبرت أن غيره صيره إلى شيء من هذا قلت: أخرجه وأدخله وأجلسه. وتقول: فزع وأفزعته، وخاف وأخفته...فأكثر ما يكون على (فعل) إذا أردت أن غيره أدخله في ذلك يبنى الفعل منه على (أفعلت). وقد يجيء الشيء على (فعّلت) فيشرك (أفعلت)، كما أنهما قد يشتركان في غير هذا؛ وذلك قولك: فرح وفرّحته، وإن شئت قلت أفرحته »[2] ، وبناء على ذلك فإن قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ ﴾[الأعراف64] جاء على الأصل المطرد ولو تلاحظ أكثر ما جاء في القرآن جاء على (أنجيناه)؛ مثل قوله تعالى:﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿72﴾ ﴾[الأعراف72]، وقوله:﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿65﴾ ﴾[الشعراء65]، ونحو قوله: ﴿ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿24﴾ ﴾[العنكبوت24]. أما الجيم المشددة المزيدة في (نجّيناه) فليست للكثرة، بل هي المعاقِبة للهمزة (التي تأتي مكان الهمزة وتخلفها)؛ نحو قوله تعالى:﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـْۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿88﴾ ﴾ [الأنبياء88][3]، مع أن (فعّلت) فيها ضرب من الكثرة؛ إذ تقول: غلقت الباب، وغلّقت الأبواب حين كثّروا العمل[4].

1 ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي، ج2، ص607_608.

2 الكتاب، سيبويه، ج4، ص55_56.

3 ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي، ج2، ص608_609.

4 ينظر: الكتاب، سيبويه، ج4، ص63.

ولتوضيح ذلك نقدم رأي الكرماني الذي نراه مقنعا فيما ذهب إليه من أن (أنجينا) و(نجّينا) للتعدي، لكن التشديد يدل على كثرة الشيء والمبالغة في الفعل، و(من) يستعمل للدلالة على أكثر مما يدل عليه (الذين) لأن هذا الأخير يصلح لجمع المذكر فحسب، أما (من) فيصلح للمفرد والمثنى والجمع، كما يصلح للمذكر والمؤنث، ولذلك كان التشديد في (نجّيناه) مع (من) أليق بها من الأصل (أنجيناه)[1].

5. سورة هود

أ- أثر اختلاف صيغة (الأخسرون) عن صيغة (الخاسرون) في المعنى

ورد في قوله تعالى:﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿22﴾﴾[هود22]، وورد في قوله أيضا:﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿109﴾﴾[النحل109]:

صيغة (الأخسرون) في سورة هود تحمل معنى زائدا من العذاب عما تحمله صيغة (الخاسرين) في سورة النحل، ذلك أنه تقدم في الأولى ما يفهم منه التفاوت والتفاضل، فقد قال عز وجل قبل هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [هود18]، وصيغة (أفعل من كذا) في قوله: (أظلم ممن) صريح مفاضلة ناسبتها صيغة التفضيل (الأخسرين) على هيأة (الأفعل) التي تحمل معنى الإطلاق والكثرة[2] للدلالة على تعميم العقاب التفاوت ومضاعفة العذاب، لأن هؤلاء قوم صدوا عن سبيل الله وساهموا في صدِّ غيرهم؛ أي أنهم ضلّوا وأضلّوا، فهم الأخسرون مطلقا يضاعف لهم العذاب قال تعالى:﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص77.

2 ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، تح محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (د ط)، 1387هـ/1967م، ص131.

مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴿20﴾ ﴾ [هود20]، أما صيغة (الخاسرين) في سورة النحل فجاءت لتناسب السياق والنظم وموافقة الفواصل بين الآي؛ فقد سبق قبلها﴿ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿83﴾ ﴾ [النحل83]، و﴿ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿108﴾ ﴾ [النحل108]، كما أنها لم تشتمل على صيغة تفاضل فناسب هنا (الخاسرون)[1].

ب- وجه المعنى من اختلاف صيغة الفعل(يهلك) عن صيغة اسم الفاعل (مهلك)

قال جلّ وعلا: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴿117﴾ ﴾ [هود117]، وقال: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿59﴾ ﴾[القصص59]:

اللام في الفعل (ليهلك) هي لام الجحود التي تفيد النفي القاطع والإنكار التام لما قبلها وما بعدها فالله سبحانه وتعالى نفى الظلم عن نفسه بأبلغ لفظ يستخدم في النفي، وتأتي بعد لام الجحود أن الناصبة للفعل المضارع (يهلكَ) وهي هنا مضمرة[2]، كما أنه لا يقع بعدها مصدر، ولام الجحود تختص بكان؛ ومعنى الكلام هنا: ما ظلمت فيما مضى، ولا أفعل في الحال، ولا أفعل في المستقبل، فكان الغاية في النفي، أما في سورة القصص فلم يكن الظلم صريحا لذلك اكتفى بذكر اسم الفاعل ثم نفاه، واسم الفاعل هو أحد الأزمنة غير معين[3].

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص96_97.

2 ينظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود صافي، دار الرشيد، دمشق، بيروت، ط3، 1416هـ/1995م، ج12، ص169.

3 ينظر: البرهان، الكرماني، ص100.

كما أنه جيء بالفعل (ليهلك) دلالة على التكرر والاستمرار بحسب ما يكون منهم، فتكرر الفساد منهم قابله تكرر الجزاء من الله تعالى وهو الإهلاك، وهنا أشار الفعل إلى التكرر ولم يكن للاسم أن يعبر عن هذا التكرار، فالاسم يحمل صفة الثبوت، بينما الفعل يحمل صفة الحركة والتجدد والاستمرارية [1].

6. سورة الرعد

أ- علة اختلاف صيغتي الفعلين (افتدوا) و(يفتدوا) بين الماضي والمضارع

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿18﴾﴾ [الرعد18]، وقال أيضا:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿36﴾﴾[المائدة36]:

جاء الفعل (افتدوا) في سورة الرعد بصيغة الماضي لأن (لو) وجوابها يتصلان بالماضي؛يعني أنه يقتضي فعلا ماضيا كان يتوقع تحققه لتحقق غيره، والمتوقع غير واقعٍ وجواب (لو) فعل مجزوم، أو ماض مثبت، أو منفي بـ(ما) نحو قوله تعالى: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ ۖ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ ﴿14﴾﴾ [فاطر14] والماضي المثبت أكثر ما

1 ينظر: ملاك التأويل، الغرناطي، ص265.

يجيء باللام[1]، فقوله عز وجل في الرعد: ﴿ لَوَ اَنَّ لَهُم مَّا فِي اِ۬لَارْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ ﴾[الرعد18]، كان جوابه:﴿لَافْتَدَوْاْ بِهِۦٓ﴾ ۖ[الرعد18] وهو القياس، أما قوله تعالى في المائدة: ﴿ لَوَ اَنَّ لَهُم مَّا فِي اِ۬لَارْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ ﴾ [المائدة36] فجوابه: ﴿مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ ﴾[المائدة36]، وقوله: ﴿ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ ﴾ [المائدة36] علة وليس بجواب لذلك لم يأت بصيغة الماضي[2].

خلاصة ذلك أن (لو) في الآيتين حرف امتناع لامتناع؛ أي امتناع الجواب لامتناع الشرط، وجوابه لا بد أن يأتي فعلا مجزوما، أو ماضيا مثبتا مقترنا باللام، أو منفيا بـ(ما) وقد جاء جوابه في آية سورة الرعد فعلا ماضيا مثبتا مقرونا بحرف (اللام): (لافتدوا به)، أما جوابه في آية سورة المائدة فقد جاء فعلا ماضيا منفيا بـ(ما): (ما تُقُبِّل منهم)، أما (ليفتدوا به) فهو علة وليس جوابا لـ (لو) لذلك لم يأت بصيغة الماضي، وهذا هو سرّ اختلاف صيغتي الفعلين (افتدوا) و(يفتدوا) بين الماضي والمضارع.

1 ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، تح رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1418هـ/1998م، ج5، ص1898_1901.

2 ينظر: البرهان، الكرماني، 105.

7.سورة النحل

أ- توجيه اختلاف صيغتي الفعل كان في النحل (تك) وفي النمل (تكن)

قال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧﴾[النحل 127]، وقال أيضا:﴿ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ٧٠﴾ [النمل70]:

نزلت آية سورة النحل تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم حينما قُتِل عمه حمزة ومثِّل به فأنزل سبحانه وتعالى قوله:﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧﴾ [النحل 127]، فبالغ في الحذف (حذف النون من تكن) حتى يكون ذلك مبالغة في التسلي، ولأن الحزن في آية النحل غير الحزن في آية النمل وحذف النون هنا جاء لموافقة ما قبله في قوله تعالى:﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠﴾[النحل120]، وتخفيفا من غير قياس، بل تشبيها بحروف العلة[1].

في غضون ذلك يرى النحاة أن نون كان قد تحذف تخفيفا لكثرة الاستعمال، قال ابن عقيل: « لكنهم حذفوا النون بعد ذلك تخفيفا لكثرة الاستعمال فقالوا (لم يكُ) وهو حذف جائز، لا لازم، ومذهب سيبويه ومن تابعه أن هذه النون لا تحذف عند ملاقاة ساكن؛ فلا تقول: لم يك الرجل قائما...وأما إذا لاقت متحركا فلا يخلو: إما أن يكون ذلك المتحرك ضميرا متصلا أو لا، فإن كان ضميرا متصلا لم تحذف النون اتفاقا...وإن كان غير ضمير متصل جاز

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص115.

الحذف والإثبات»[1]، وقد علق على هذا الرأي فاضل صالح السامرائي موضحا أن البلاغة في الكلام لا تكون فقط لغرض التخفيف وإنما لتحقيق أغراض بلاغية يقضيها السياق؛ نحو قوله تعالى:﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿127﴾ ﴾ [النحل 127]، فقد جاء الحذف هنا لغرض النهي عن الشيء بقوة بحيث تطلب من المخاطب ألا يكون من الفعل شيء؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم حينما وقف على حمزة يوم أحد وقد مثّل به ضاق صدره فنزلت فيه هذه الآية يوصيه فيها الله تعالى بالصبر ثم نهاه أن يكون في ضيق من مكرهم، أو هو من باب تهوين الأمر وتخفيفه فخفف الفعل بالحذف إشارة إلى تخفيف الأمر وتهوينه على النفس[2].

8.سورة الكهف

أ- سبب اختلاف صيغة الفعل (اسطاعوا) عن الصيغة (استطاعوا)

ورد في قوله تعالى: ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿97﴾ ﴾[الكهف97]:

تصرّفت العرب في الفعل (استطاع) فقالت: (استطاع واستاع واسطاع)، فالأصل هو(استطاع) والباقي فرع مخفف،أما (اسطاعوا) فقد جاء مخففا عندما أراد نفي قدرتهم على الظهور على السد، و(استطاعوا) جاء كاملا مستوفيا جميع حروفه غير مخفف عندما أراد نفي قدرتهم على نقب السد وخرقه؛ فبما أن كل زيادة في المبنى تنبئ عن زيادة في المعنى فإن زيادة التاء في (استطاعوا) تدل على أن الاستطاعة فيه أشد من الفعل الذي حذفت منه

1 ينظر: شرح ابن عقيل، ابن عقيل، ج1، ص299_300.

2 ينظر: معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1420هـ/2000م، ج1، ص230_232.

التاء (اسطاعوا)، ولا شك أن الظهور أيسر من الخرق وأخفّ منه لذلك جيء بالفعل (اسطاعوا) مخففا مع الأخف، وجيء ب(استطاعوا) على الأصل مع الأثقل[1].

وقد عدل العرب عند تلاقي المتماثلين أو المتقاربين إلى الحذف للتخفيف، فقالوا في ظَلِلْتُ: ظِلْتُ وفي أَحْسَسْتُ: أَحَسْتُ، وقالوا: اِسْتَخَذَ فلان أرضا؛ أصله: اِسْتَتْخَذَ فحذفت التاء الثانية ومنه قولهم: يَسْطِيعُ بحذف التاء، وقولهم: يَسْتِيعُ، فإن شئت قلت: حذفت الطاء وتركت تاء الاستفعال، وإن شئت قلت حذفت التاء المزيدة وأُبدلت التاء مكان الطاء[2].

بينما ذهب الكرماني إلى أن سبب الحذف في الأول هو أن مفعول (اسطاعوا) مصدر مؤول متكون من: حرف وفعل وفاعل ومفعول فاختار فيه التخفيف، على غرار (استطاعوا) الذي جاء مفعوله مفردة واحدة هي (نقبا) فلم يعدل فيه إلى التخفيف[3].

9.سورة الكافرون

أ- العلة من اختلاف الصيغ (عبدتم) بالماضي، و(تعبدون) بالمضارع، و(عابدون) اسم فاعل

قال جل وعلا: ﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ ﴾[الكافرون2]، وقال بعدها: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ ﴾[الكافرون3]، وقال أيضا:﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ ﴾ [الكافرون4]، وبعدها: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ ﴾ [الكافرون5]:

1 ينظر: ملاك التأويل، الغرناطي، ص323_324.

2 ينظر: المفصل في علم العربية، الزمخشري، تح فخر صالح قدارة، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1425هـ/2004م، ص433_434.

3 ينظر: البرهان، الكرماني، ص122.

جاء الفعل (عبد) بصيغ مختلفة؛ إذ قال بلفظ الماضي:﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿4﴾ ﴾[الكافرون4]، فنفى عن نبيه صلى الله عليه وسلم عبادة الأصنام التي عبدها الكافرون في الماضي، فالماضي البسيط الخالية مادته من السوابق واللواحق يعبر عنه بصيغة (فعل) فيراد به الماضي مطلقا دونما تحديد لهذا المضي، كما يشير إلى أن هذا الفعل تردد وقوعه في الماضي مرات عديدة[1]. ونفى عنه عبادتها في الحال والاستقبال فقال: ﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿2﴾ ﴾[الكافرون2]، والفعل المضارع يدل على العمل الذي بدأ حدوثه حال التكلم ولم يكتمل بعد؛ أي أنه لا يزال مستمرا، أو يدل على العمل الذي يكون مستقبلا[2] وكذلك عبّر بصيغة اسم الفاعل الذي يصلح للأزمنة الثلاثة (عابد)، كما نفى عن الكفار أيضا عبادة الله تعالى في الأزمنة الثلاثة فقال: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ ﴾[الكافرون3، 5] فاقتصر على اسم الفاعل (عابدون) الذي يقع موقع الماضي، والحال، والاستقبال[3].

1 ينظر: زمن الفعل في اللغة العربية قرائنه وجهاته، عبد الجبار توامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 1994م، ص82_83.

2 ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، ص 124.

3 ينظر: البرهان، الكرماني، ص204.

المبحث الثاني:

التذكير والتأنيث

الأصل في جميع الأشياء التذكير لأنه لا يحتاج إلى زيادة، ولما كان التأنيث فرع التذكير احتاج إلى زيادة علامة تدل عليه؛ كالتاء (المتحركة والساكنة)، أو الألف (المقصورة والممدودة)[1]، واللغة العربية من أكثر اللغات اهتماما بالتفريق بين المذكر والمؤنث، سواء كان اسما أو فعلا، مفردا أو مثنى أو جمعا، وحتى الخبر والصفة والحال والضمير فرّقوا بين مذكرها ومؤنثها، ولعل من وراء هذا التفريق غاية، والغاية من هذا المبحث جمع ما تفرق من ألفاظ متشابهة البنية، مختلفة من ناحية تذكيرها وتأنيثها في القرآن الكريم من خلال ما قدمه الكرماني في كتابه "البرهان في توجيه متشابه القرآن"، وتوجيهها إلى معانيها انطلاقا مما قاله علماء اللغة والنحو في هذا الباب مع ما قاله علماء البلاغة وصولا إلى ما قاله علماء التفسير والتأويل، ومنه تحديد الاختلاف في المعنى بين الآيات المتشابهات الألفاظ.

1.سورة آل عمران

أ- توجيه ورود الضمير المتصل مذكرا في قوله تعالى (فأنفخ فيه)، وروده مؤنثا في قوله (فتنفخ فيها)

جاء في قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡۖ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ ﴿49﴾﴾[آل عمران49]، وجاء في قوله أيضا:﴿وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ ﴿110﴾﴾ [المائدة110]:

1 ينظر: اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب، محمد علي السراج، تح خير الدين باشا، دار الفكر، دمشق، ط1، 1403هـ/1983م، ص70.

يخبرنا الله عز وجل عن خلق عيسى عليه السلام للطير من الطين _بإذن الله_ لكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو: ما سبب اختلاف جنس الضمير بين الآيتين؟

ذهب الإسكافي في توجيه هذا الاختلاف إلى أن الضمير المذكر في آية آل عمران يعود على ما تقوم به حجة النبي عيسى عليه السلام على بني إسرائيل؛ وذلك أوَّلَ ما يصور الطين على هيئة الطير فيكون واحدا تلزم به الحجة فالتذكير أولى به لأنه مفرد، لأن عيسى عليه السلام فيما أخبرنا به عز وجل أنه قد عد الآيات على بني إسرائيل ومن بين هذه الآيات: أنه يأخذ الطين ويصوره على صورة الطير، ثم ينفخ فيه فيصير طيرا بإذن الله مكسوا بالريش واللحم المركب على العظم، فكان القصد ما تقوم به هذه الآية عليهم، بينما يعود الضمير المؤنث في آية المائدة على كل ما يخلقه من الطين وهي من النعم والآيات والمعجزات على سيدنا عيسى عليه السلام؛لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿110﴾﴾ [المائدة110]والعبرة من ذلك ليست ما تقوم به حجة ما على بني إسرائيل وإنّما العبرة في جميع ما أذن به الله أن يتحقق على يدي نبيه عيسى عليه السلام دلالة على صدقه وصدق نبوته، وتلك النعم جمع والجمع أولى به التأنيث[1].

1 ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي، ج1، ص372_375.

وبما أنه لا بد لكل ضمير من مرجع يعود إليه ويكون ملفوظا به سابقا ومطابقا له فإن الضمير في (فيه) يعود للكاف التي بمعنى مثل؛ أي فينفخ في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير، أما (تنفخ فيها) فبمعنى تنفخ في الهيئة التي كان يخلقها عيسى عليه السلام، ولذلك قال (فتكون) أي فتكون الهيئة طيرا[1]، وعليه فقد تقدم في آل عمران مراعاة اللفظ المذكر فهي أسبق في الترتيب، ثم راعى في المائدة المعنى لأنها متأخرة عنها، وذلك أنه إذا حمل على اللفظ جاز بعده الحمل على المعنى، ولكن إذا حمل على المعنى ضعف الحمل بعده على اللفظ، فالمعنى أقوى من اللفظ ويبعد الرجوع إليه بعد اعتبار اللفظ، كما يضعف بعد اعتبار المعنى القوي الرجوع إلى اللفظ الأضعف، وهو ما جرت عادة العرب عليه[2].

أما الكرماني فقد ذهب إلى أن الضمير المذكر في سورة آل عمران يعود على: الطير، أو على الطين، والضمير المؤنث في المائدة يعود على الهيئة، وهذا هو جواب التذكير والتأنيث، لذا فلا بد أن الضمير المذكور في (فيه) يعود على الطير المذكر، أما الضمير المؤنث في (فيها) فيعود على الهيئة المؤنثة، وهذا هو سبب الاختلاف في جنس الضمير بين الآيتين، كما أن ما في آل عمران إخبار قبل حدوث الفعل لذلك وحده، أما ما في المائدة فهو خطاب من الله تعالى يوم القيامة حين يكون قد تقدم من النبي عيسى عليه السلام حدوث الفعل مرات لذلك جمعه، والطير صالح للمفرد كما هو صالح للجمع[3].

1 ينظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمذاني، تح محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان للنشر والتوزيع، ط1، 1427هـ/2006م، ج 2، ص56_ص526.

2 ينظر: معاني النحو، السامرائي، ج1، ص134.

3 ينظر: البرهان، الكرماني، ص45.

2.سورة النحل

أ- توجيه تذكير ضمير الغائب في (بطونه)، وتأنيثه في (بطونها)

ورد في قوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿66﴾ ﴾[النحل66]، وورد في قوله:﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿21﴾ ﴾[المؤمنون 21]:

من الملاحظ أن الضمير المتصل بكلمة (بطون) في كلتا الآيتين يعود على الأنعام، لكن الاختلاف الوارد هو كون الضمير في آية سورة النحل جاء مذكرا، بينما الضمير في آية سورة المؤمنين جاء مؤنثا، فما السر وراء هذا الاختلاف؟

ورد في كتب النحو أنه يؤتى بالضمير المذكر للدلالة على القلة، ويؤتى بالضمير المؤنث للدلالة على الكثرة؛ فقد جاء في "شرح المفصل": « وقولهم جمّالة في جمع جمّال بمعنى جماعة جمّالة، وكذلك بغّالة وحمّارة وشارية وواردة وسابلة، ومن ذلك البصرية والكوفية والمروانية »[1]، ثم قال فيها الشارح إن هذه الصفات فيها ضرب من النسب حتى وإن لم تدخلها ياء النسب، إذ قيل لصاحب الجمال جمّال، وقيل لصاحب البغال بغّال؛ وهو الذي يعمل عليها وإن لم يكن مالكها، وهو كثير فيما كان صنعة تكثر معالجتها، لأن (فعّال) للتكثير؛ فإذا أرادوا الجمع ألحقوا بها التاء فقالوا: جمّالة وبغّالة وحمّارة، ونجد أنهم أنثوا لفظه على إرادة الجماعة لأن الجماعة مؤنثة، وكأنهم قالوا: جماعة جمّالة وبغّالة وحمّارة، وكذلك بالنسبة للمنسوب الذي قد يؤنث على إرادة الجماعة نحو: البصريةوالكوفية والمروانية، كما

1 شرح المفصل، موفق الدين بن يعيش، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، (د ط)، (د ت)، ج5، ص99.

قيل نسبة وعلامة للمبالغة حيث أرادوا التكثير، فدخلها معنى الجمع على إرادة الجماعة. فالجمع إذن يكسب الاسم تأنيثا وتأنيثه ليس حقيقيا فهو تأنيث للاسم وليس تأنيثا للمعنى[1].

وقد ذهب الكرماني إلى توجيه الآيتين بناء على ما ذكرنا من إفادة الضمير المذكر للقلة والضمير المؤنث للكثرة؛ فالضمير في آية سورة النحل يعود على البعض (بعض الأنعام) وهو الإناث؛ لأن اللبن لا يخرج من جميع الحيوانات وإنما يخرج من إناثها فقط، فيصبح تقدير الآية: إن لكم في بعض الأنعام، على خلاف ما في سورة المؤمنين فإن الضمير المؤنث بها يعود على كل الأنعام ولا يقتصر على بعضها، لأن الحديث فيها على منافع الأنعام الكثيرة، وليس اللبن فقط، قال تعالى:﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿21﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿22﴾ ﴾[المؤمنون 21_22][2].

وهناك توجيه آخر لها وهو: أن الضمير المذكر في آية سورة النحل أريد به الجنس، أما تأنيث الضمير في آية سورة المؤمنين جاء لمناسبة تأنيثه للكلمات التي بعدها: (فيها) و(منها)، و(عليها)[3].

ولعلّ الصواب في ذلك هو التوجيه الذي ذهب إليه الكرماني من أنّ الأنعام المقصودة في آية سورة النحل قليلة لأن الضمير في (بطونه) مذكر، بينما الأنعام المذكورة في آية سورة المؤمنين كثيرة لأن الضمير في (بطونها) مؤنث.

1 ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش، ج5، ص99_103.

2 ينظر: البرهان، الكرماني، ص114.

3 ينظر: ملاك التأويل، الغرناطي، ص302.

3.سورة الأنبياء

أ- علة مجيء الضمير المتصل في (فيها) في آية سورة الأنبياء مؤنثا، ومجيئه في (فيه) في آية سورة التحريم مذكرا

جاء في قوله عز وجل:﴿وَالَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾[الأنبياء91]، وجاء في قوله أيضا: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢﴾[التحريم12]:

الضمير المؤنث في آية الأنبياء يعود على الاسم الموصول (التي) أي مريم بنت عمران فالمقصود في هذه السورة ذكرها وبيان ما آل إليه حالها حتى ظهر فيها ابنها، وذلك لا يتحقق إلا بالنفخ في حملها وتحملها إلى ولادتها، وعلى هذا فالنفخ المذكور في آية سورة الأنبياء يعمها كلها فلذلك اختصت بالتأنيث، أما الضمير المذكر في آية التحريم فيعود على فرجها (موضع النفخ) وهو مذكر، فالنفخ المذكور في هذه الآية يخص جزءا منها فقط ولذلك خصت بالتذكير[1].

فقد جرت العادة أن المرأة لا تحمل إلا من فحل، وأن الولد لا يولد من غير أب؛ فحين كان القصد من آية الأنبياء التعجب من حالة مريم العذراء وابنها، وأنها صارت حاملا بالنفخ. رُدّ الضمير إلى جملتها (كلها) فالنفخ في فرجها يعني النفخ فيها جملة، مما أوجب القصد إلى وصفها كلها دون جزء منها، فكان قوله تعالى: ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص131.

رُّوحِنَا ﴾[الأنبياء91]، أولى وأبلغ في هذا الموضع من قوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [التحريم12]. أما ما في آية التحريم فلم يكن القصد إلى وصفها والتعجب من حالها وحملها وابنها كما هو الحال في آية الأنبياء؛ لذلك اختلف التعبيران[1].

وهذا التوجيه استفيد مما يدل عليه الضمير المؤنث من الكثرة، وما يدل عليه الضمير المذكر من القلة؛ ما يعني أن « قوله:﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾[الأنبياء91]أمدح من قوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾؛ لأن النفخة عمت شخصها، بخلاف قوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ ﴾فإنها خصت جزءا. وقد ناسب كل تعبير موضعه »[2].

4.سورة السجدة

أ- توجيه التذكير في آية السجدة، والتأنيث في آية سبأ

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[السجدة20]، وقال أيضا: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [سبأ42]:

1 ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي، ج2، ص912_913.

2 من أسرار البيان القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ط2، 1440هـ/2019م، ص182_183.

*الكناية: مصطلح كوفي يقابله في اصطلاح البصريين: المضمر

(الذي) والضمير المتصل في (به) يعودان على العذاب وهو مذكر، لأن النار تقدم ذكرها فوقعت هنا موقع الكناية*، فوصف العذاب ولم يصف النار لأن الكنايات لا توصف، أما في سبأ فلم يتقدم ذكر النار لذلك وصفها، و(التي) والضمير في (بها) يعودان على النار[1]؛ والقصد من هذا الكلام هو أن لفظ (النار) الظاهر في قوله تعالى: ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة20] واقع موقع المضمر فقد تم ذكرها قبل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [السجدة20]، ثم أضمرت في قوله: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ [السجدة20]، ثم أظهرت بعد ذلك والتقدير: ذوقوا عذابها فجاءت ظاهرة مكان المضمر وقد سدت مسده[2]. وكل ما حل مكان المضمر لا يعرّف؛ فالمضمر لا ينعت ولا ينعت به، أما الموصولات فتوصف ويوصف بها[3].

فكل من جملتي صلة الموصول في الآيتين تشتمل على العائد الذي يعود على الاسم الموصول الذي يكون مطابقا له في الجنس وفي العدد؛ ف(الذي) عائده الضمير المذكر المتصل في (به)، والتي عائدها الضمير المؤنث المتصل في (بها). أما في آية سبأ فلم يتقدم ذكر النار لذلك صرح لها بالوصف فوصفت.

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص155.

2 ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، ج3، ص1066_1067.

3 ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، ص1931.

5.سورة المدثر

أ- توجيه الفرق بين تذكير الضمير في آية المدثر وتأنيثه في آية عبس

قال تعالى:﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ﴿54﴾ ﴾[المدثر54]، وقال أيضا: ﴿ كَلَّآۖ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴿11﴾ ﴾ [عبس11]:

الضمير في (إنه تذكرة) يعود على القرآن، أما في عبس فإن الهاء في (إنها تذكرة) تعود على آيات القرآن[1].

لكنه قال في المدثر (تذكرة) بلفظ المؤنث رغم أن القرآن مذكر والعائد مذكر؛ فالظاهر أنه حُمل على المعنى؛ أي أن هذا القرآن ذكر ووعظ، والحمل على المعنى « غور من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح، قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثورا ومنظوما؛ كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث، وتصور معنى الواحد في الجماعة، والجماعة على الواحد»[2]؛ فإذا نظرنا إلى اللفظ (تذكرة) وجدناه مؤنثا، أما إذا نظرنا إلى المعنى (الذكر) وجدناه مذكرا.

وقال في عبس (إنها تذكرة) أي آيات الله تذكرة وموعظة وهي على الأصل فقد عاد الضمير على اسمه موافقا له في التأنيث، وقال بعدها: ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿12﴾ ﴾ [عبس12] فرغم أن الهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به وتعود على التذكرة إلا أنه ذكّر الضمير العائد ولم يؤنثه وهذا لأن التذكرة تأنيث غير حقيقي ومعناه الذكر والوعظ، وفي ذلك يرى المبرد أنه إذا فرق بين الفعل والمؤنث كان التذكير حسنا كقوله تعالى: ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص190.

2 الخصائص، ابن جني، ج2، ص411.

ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿67﴾ ﴾[هود67] فذكر الفعل لأنه حمل الصيحة على معنى الصياح، ولو قيل في الشعر: قام جاريتك لصلح لكنه للضرورة الشعرية، وليس بحسن حتى تذكر بينهما كلاما نحو قولك: قام يوم كذا وكذا جاريتك[1]، أما إذا لاصق المؤنث فعله كان الاختيار إثبات التاء، وكان حذفها قبيحا؛ لأن التذكير باب مضاد للتأنيث لذلك وجب التفريق بين فعل المذكر وفعل المؤنث لاختلافهما، أما إذا فصلت بين المؤنث وفعله بشيء جاز لك التذكير والتأنيث؛ فمن أنّث فقد التزم القياس، ومن ذكّر فقد قال: أنه لما حال بين الفعل والمؤنث حائل رجع الفعل إلى أصله المذكر[2].

1 ينظر: المقتضب، المبرد، ج3، ص349.

2 ينظر: المذكر والمؤنث، ابن الأنباري (أبو بكر)، تح محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، (د ط)، 1401هـ/1981م، ج2، ص210.

المبحث الثالث:

التعيين (التعريف ب:(ال) والتنكير)

الأصل في الأسماء التنكير، والتعريف فرع عنه، ففائدة « التعريف هي تعيين المسمى عند الإخبار للسامع، والإخبار يتوقف على التركيب فيكون تعيين المسمى عند التركيب. وقبل التركيب لا إخبار فلا تعريف قبل التركيب»[1]، ويذكر النحاة أن النكرة سابقة على المعرفة لثلاث أوجه:

_ النكرة أعم من المعرفة، والعام قبل الخاص؛ لأن الخاص يتميز عن العام بميزات زائدة عن المشتركة بينهما.

_ لفظة شيء تشمل جميع الموجودات، وحين يراد التخصيص يؤتى بالوصف، والموصوف أسبق من الصفة.

_ أن المعرفة تحتاج إلى علامة لفظية أو وضعية لا تحتاجها النكرة.

وقد حصرت المعارف في سبعة أنواع هي: المضمرات، وأسماء الإشارة، والموصولات والأعلام، وما عرف باللام، وما أضيف إلى هذه الخمسة، والنكرة المتعرفة بقصد النداء وزيد عليها أمثلة التأكيد: أجمعون وأجمع وجمعاء وجمع فأصبحت ثمانية[2]، ما يهمنا منها الآن هو ما عرِّف بالأداة (ال)؛ إذ حاولنا إظهار العلة من تعريف بعض الألفاظ بالألف واللام وتنكيرها بين الآية وشبيهتها في القرآن الكريم من خلال كتاب "البرهان".

1 الأشباه والنظائر في النحو، السيوطي،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، ج2، ص47.

2 ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص48.

1.سورة البقرة

أ- توجيه ذكر الحق معرفا ب(ال) في البقرة ونكرة في آل عمران والنساء

قال تعالى في سورة البقرة:﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿61﴾﴾[61]، وقال في آل عمران:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿21﴾﴾[21]، وفي النساء قال: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿155﴾﴾[155]:

جاء في "البرهان" أن الحق المذكور في سورة البقرة هو: إشارة إلى الحق الذي أذن الله أن تقتل به النفس، وهو المذكور في قوله تعالى:﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴿151﴾﴾ [الأنعام151]؛ فكان من الأولى أن يذكر معرفا لأنه مما وصى به الله؛ أما الحق المذكور في آل عمران والنساء فهو حق في معتقداتهم وديانتهم، فكان الأولى أن يذكر نكرة[1]، والكلام في الآيتين فيه ذم وتشنيع للكفار بقتلهم الأنبياء لكن في التنكير زيادة في

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص30.

ذمهم وتبشيع فعلهم أكثر من التعريف، وكلاهما شنيع وذميم ومع ذلك فالعيب على فعلهم وتشنيعه في سورتي آل عمران والنساء أشد[1].

ولعل الصواب هو ما ذهب إليه الخطيب في توجيه هذا التعريف والتنكير فقد أجاب عن علة تعريف الحق وتنكيره بإسهاب وهو أن: آية سورة البقرة تخبر عن قوم عُرفوا وعُرفت أعمالهم، وانقضت أزمنتهم، والحق المقصود من تلك الآية هو ما قال عنه الله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ﴿151﴾﴾ [الأنعام151]؛ أي أن يقع القتل على الأوجه الثلاثة المعلومة؛ كأن يكون القاتل مكلّفاً، أو أن يرتد، أو أن يزني وهو محصن، لكن هؤلاء القوم قتلوا النبيين من غير أن يقع منهم ما يوجب عليهم القتل عندهم؛ لأنهم لا قتلوا ولا أفسدوا في الأرض ليُقتلوا بل نصحوهم، ودعوهم إلى ما ينفعهم فقتلوهم[2]؛فكانت فائدة (ال) هنا التنبيه على أن الحق المذكور ثانيا هو المذكور في الأول إذ لو جيء به منكرا لتوهم أنه غير الأول[3]. أما الموضع الثاني الذي جاء الحق فيه نكرة فيخبر عن قوم لم يمضوا ولم ينقرضوا، إذ قال تعالى في أول الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ﴾ [آل عمران21]، ولم يقل: إن الذين كفروا، فهو خبر عن قوم كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم؛ لذلك اختير لفظ المعرفة في القصة التي وقعت ووقع الإخبار عنها، واختير لفظ النكرة في القصة التي وقع التهديد فيها ليمنع الوقوع فيها[4].

1 ينظر: معاني النحو، السامرائي، ج1، ص110_111.

2 ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي، ج1، ص 246_249.

3 ينظر: شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله الأزهري، مطبعة الإستقامة، مصر، ط1، 1374هـ/1954م، ج1، ص154.

4 ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي، ج1، ص 246_249.

ب- علة تنكير البلد في آية سورة البقرة وتعريفه في آية إبراهيم

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿126﴾ ﴾[البقرة 126]، وقال أيضا: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿35﴾ ﴾ [إبراهيم35]:

ورد البلد في آية سورة البقرة نكرة لأن (هذا) فيها إشارة إلى البلد قبل بناء الكعبة؛ وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾[إبراهيم37][1].فيكون (هذا) مفعولاً أولاً، و(بلدا) مفعولاً ثانياً، و(آمنا) صفة[2]، أما (هذا) في آية سورة إبراهيم ففيها إشارة إلى البلد بعد بناء الكعبة، فيكون (هذا البلد) المفعول الأول، و(آمنا) المفعول الثاني، فحين كان البلد نكرة في البقرة أتبع بالوصف، وحين كان معرفة لم يوصف. وهنا تجدر الإشارة إلى أن (ال) في (البلد) هي (ال) العهدية التي إذا اتصلت بنكرة صار معرفة ومعهودا يتوجه ذهننا إليه مباشرة[3]، وهو البلد النكرة المذكور في آية البقرة، إذ لما سبق ذكره نكرة في البقرة أصبح معهودا ومعلوما فذكر معرفا في إبراهيم إشارة إلى الذي ذكر في البقرة.

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص34.

2 ينظر: إعراب القرآن وبيان معانيه، محمد حسن عثمان، ج1، ص300.

3 ينظر: الموجز في قواعد اللغة العربية، سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د ط)، 1424هـ/2003م، ص 120.

وقيل إن تقديره في البقرة: هذا البلد بلدا آمنا فحذف اكتفاء بالإشارة، ويكون المراد من الآيتين سواء؛ وهو: الدعاء للبلد بالأمن؛ كأن تقول: كن رجلا كريما، فليس المراد بأن يكون المخاطب رجلا، وإنما المراد أن يكون كريما[1]، وبناء على هذا القول تصبح الألف واللام في (البلد) زائدة.

ت- الغاية من مجيء (المعروف) معرفة تارة، ونكرة تارة أخرى في سورة البقرة (معروف)

قال جل وعلا:﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿234﴾﴾[البقرة234]، وقال أيضا: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿240﴾﴾ [البقرة240]:

ذكر الكرماني رأي الخطيب في ذلك[2]، وهو أن: المعروف الأول جاء معرّف اللفظ لأن معناه: بالوجه المعروف من الشرع لهن؛ أي فيما فعلن في أنفسهن بأمر الله وهو المعروف الذي أبانه الله ودل عليه الشرع[3]، وهو معهود ذهني دل عليه (ال) إذ المعروف المذكور في الآية معروف ومعلوم لدى المخاطب وإن لم يكن سبق له ذكر في اللفظ؛ نحو قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص34_35.

2 ينظر: المرجع نفسه، ص41_42.

3 ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي، ج1، ص348.

ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿40﴾ ﴾[التوبة40]، فالغار معلوم حتى وإن لم يسبق ذكره، وقوله أيضا:﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿18﴾ ﴾[الفتح 18] والشجرة كذلك معلومة وإن لم يكن جرى لها ذكر في اللفظ[1].

أما المعروف الثاني فجاء نكرة لأن النكرة هي الاسم الموضوع على معنى يكون شائعا في جنسه إن اتفق أن له جنسا فلا يختص به واحد دون الآخر[2]؛ فيصبح معنى الآية: فيما فعلن من فعل معروف من أفعالهن[3].

2. سورة مريم

أ- العلة من تنكير (سلام)، وتعريف (السلام) في الآيتين

قال تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿15﴾ ﴾[مريم15]، وقال أيضا:﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿33﴾ ﴾ [مريم33]:

1 ينظر: معاني النحو، السامرائي، ج1،ص114.

2 ينظر: التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبوحيان الأندلسي، تح حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1419هـ/1998م، ج2، ص102.

3 ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، ج1، ص348.

ذهب الكرماني في توجيه تنكير (سلام) وتعريف (السلام) إلى أن الأول من الله تعالى والقليل منه كثير، والثاني من عيسى عليه السلام أما الألف واللام فهي « لاستغراق الجنس ولو أدخل عليه التسعة والعشرين والفروع المستحسنة والمستقبحة لم تبلغ عشر معشار سلام الله عليه»[1]. ونكرة الجنس كمعرفته؛ لأن قولك: لا أشرب ماء كقولك: لا أشرب الماء[2].

وقد لا تكون الألف واللام للاستغراق بل هي (ال) العهدية التي تدل على شيء معروف ومعهود لدى المخاطبين بأن سبق ذكره في السياق؛ فالسلام الثاني في قوله تعالى: ﴿ وَالسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿33﴾ ﴾ [مريم33] هو السلام الأول الذي سبق ذكره في قوله:﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿15﴾ ﴾[مريم15] ومثال ذلك: أن تذكر رجلا فتقول: جاءني رجل، ثم تواصل الكلام وتقول بعد ذلك: فأكرمت الرجل؛ ليكون المراد هو الرجل المذكور أول الكلام؛ وهو ما يسمى بالعهد الذكري أي أن يكون هذا المعرّف مذكورا أول الكلام نكرة، نحو قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ﴿15﴾ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ﴿16﴾ ﴾[المزمل15_16]، أي الرسول الذي تقدم ذكره وقوله أيضا: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿35﴾ ﴾[النور 35]

1 البرهان، الكرماني، ص124.

2 ينظر: المرجع نفسه، ص123_124.

فالمصباح المعرّف هو المصباح المذكور أولا نكرة، والزجاجة المعرّفة هي الزجاجة النكرة المذكورة قبلها[1].

3.سورة المؤمنون

أ- الوجه من تعريف (القوم) في الآية الأولى من سورة المؤمنون، وتنكيره في الثانية

قال تعالى:﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۖ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿41﴾ ﴾[المؤمنون41]، وقال أيضا:﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۖ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿44﴾ ﴾[المؤمنون44]:

خصت الآية الأولى بتعريف (القوم) لأنهم قوم معروفون فهم قوم صالح عليه السلام قال عنهم تعالى قبل ذلك:﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ [المؤمنون41][2]، و(ال) هنا هي (ال) الذهنية (العهدية للمعهود الذهني) التي تستعمل عندما يكون هناك معهود مشترك بين المتكلم والسامع وهو (قوم صالح) فهي في قوة الإشارة إليه (القوم)؛ نحو قوله تعالى:﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۖ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿6﴾ ﴾ [الأحزاب 6]، أي النبي محمد صلى الله عليه وسلم[3].

---

1 ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تح مازن المبارك وحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، 1368هـ/1964م، ط1، ج1، ص50.

2 ينظر: البرهان، الكرماني، ص135.

3 ينظر، الخلاصة النحوية، تمام حسان، عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، ط1، 1420هـ/2000م، ج4، ص95.

أما الآية الثانية فقد جاء فيها اللفظ نكرة (قوم) لأن القوم المتحدث عنهم غير معروفين لقوله تعالى قبله:﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿42﴾ ﴾[المؤمنون42] ولم تتوفر الآية على قرينة ليعرفوا بها فخصهم بالنكرة[1].بل هم أقوام عدة ممن جاؤوا بعد قوم صالح عليه السلام لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۖ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۖ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿44﴾ ﴾ [المؤمنون44]، فجاء لفظ (قوم) نكرة نتيجة الجهل بما يعرّفُ المذكور.

4.سورة فصلت

أ- العلة من تعريف (السميع العليم) في آية فصلت، وتنكيرهما في آية الأعراف

قال جل وعلا: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿36﴾ ﴾[فصلت36]، وقال أيضا:﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿200﴾ ﴾ [الأعراف200]:

قوله تعالى:﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿36﴾ ﴾[فصلت36] في سورة فصلت متصل بقوله قبلها: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ۚ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿35﴾ ﴾[فصلت35]، فلما كان الكلام في هذه الأخيرة مؤكدا بالنفي والإثبات والتكرار، بالغ في توكيد قوله:﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص135.

ﭐلۡعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ [فصلت36] ب: إنّ المشددة من شأنها تأكيد ما يأتي بعدها وإثباته[1] والضمير المنفصل (هو)، والألف واللام في (السميع العليم)؛ أما زيادة الضمير المنفصل (هو) فلتأكيد الضمير المتصل (الهاء) في (إنّه) وهو ما يسمى بفن توكيد الضميرين الذي يقصد به أن يؤكد المتصل بالمنفصل كقولك: إنّك أنت، أو يؤكد المنفصل بمنفصل مثله؛ نحو: أنت أنت، أو يؤكد المتصل بمتصل مثله نحو: إنك إنّك لجواد[2]. أما الألف واللام في قوله: (السميع العليم) فتفيد التخصيص والتوكيد. وما في الأعراف لم يكن فيه هذا النوع من الاتصال فجاء على القياس: الخبر نكرة (إنه سميع عليم)، والمخبر عنه معرفة (الله)[3].

وهناك توجيه آخر للألف واللام في قوله تعالى: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت36] وهو أنها الدالة على الكمال، فإذا قلت: أنت الرّجل كلّ الرّجل فليس في الحسن كالألف واللام لأنك أردت بهذا الكلام الرّجل المستكمل الخصال المبالغ في الكمال[4]، وذلك نحو قوله تعالى: (وهو السميع البصير) أي أنه هو لا غيره الكامل في السمع والبصر[5]. ومنه (فالسميع العليم) يعني أنه هو لا غيره الكامل في السمع والبصر.

1 ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، دار ابن كثير، دمشق، ط7، 1430هـ/1999م، ج4، ص699.

2 ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير (أبو الفتح ضياء الدين)، تح محمد محي الدين عبد الحميد، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، (د ط)، 1358هـ/1939م، ج2، ص19.

3 ينظر: البرهان، الكرماني، ص170_171.

4 ينظر: الكتاب، سيبويه، ج2، ص12.

5 ينظر: نظم الدرر في تناسب الآي والسور، البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د ط)، 1404هـ/1984م، ج17، ص260.

الفصل الثالث:

مسائل النحو في كتاب "البرهان" للكرماني وأثرها في توجيه معنى المتشابه اللّفظي

تمهيد:

حتى وان كان النحو ذلك العلم الذي يهتم بتتبع أحوال أواخر الكلمات من إعراب وبناء فإنه لم يكن كذلك فحسب، بل يهتم أيضا بمعاني الكلام ومقاصد المتكلمين ذلك أنه لازم للتركيب وغايته إحراز المعاني الكامنة في النفس.

والكلام عن علم النحو يدعو بالضرورة إلى الكلام عن القرآن الكريم لأنه نشأ في أحضانه ثم عاد إلى دراسته باستقراء القواعد النحوية لفهم معانيه، ومن ثمة وضعنا هذا الفصل للكشف عن علاقة المعنى بالتركيب النحوي في المتشابه اللفظي من خلال عرض وتحليل بعض المسائل النحوية الواردة في كتاب "البرهان" وهي:

1. الذكر والحذف
2. الأداة
3. التوكيد
4. التقديم والتأخير

ونهتم في دراسة هذه المسائل باستخراج التغيرات الطارئة على التركيبات المتشابهة، ثم الوقوف على تلكم التغيرات والبحث عن دلالاتها بين كتب اللغة والتفسير من أجل توجيه الآية إلى معناها المختلف عن معنى شبيهتها.

المـبحـث الأوّل:

الأداة

نقصد بالأداة الأسماء والحروف المختصة بربط الجمل بعضها ببعض، أو ربط الجمل بالفضلة، وهي حروف المعاني على أشكالها (حروف العطف والجر، وأدوات الشرط والاستفهام والنصب والجزم وغيرها)، وبما أن هذه الأدوات تستعمل للدلالة على معنى في غيرها لأنها إنما يحتاج إليها لغيرها فإن أثرها كبير في بيان معاني التراكيب، لذلك استعان بها المفسرون في إبراز معاني الآيات القرآنية، وبما أن للحرف أكثر من معنى فالسياق هو الكفيل بتحديد المعنى الذي جاء هذا الحرف ليؤديه، هذا ما سنحاول الكشف عنه في مبحث الأداة، إذ نسعى لإيضاح الفرق الدلالي بين استعمال الأداة مكان الأخرى في آيتين متشابهتي الألفاظ والتركيب في القرآن الكريم.

1.سورة البقرة

أ- توجيه اختلاف حرفي العطف (الواو والفاء) بين الآيتين ففي الأولى عطف(بالواو)، وفي الثانية (بالفاء)

جاء في قوله تعالى:﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنَ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ۖ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿35﴾ ﴾ [البقرة35]، وجاء في قوله: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنَ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ۖ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿19﴾ ﴾ [الأعراف19]:

ما أثر عطف (كلا) على (اسكن) بالواو في سورة البقرة، وبالفاء في سورة الأعراف على المعنى؟

الواو عاطفة جامعة ويمكن أن تفيد الترتيب كقولك: قام زيد وعمرو؛ فهذا يعني أنه يحتمل أن يقوما معا في الوقت نفسه،أو أن يسبق أحدهما صاحبه في القيام[1]، أما الفاء فتفيد

1 ينظر: معاني الحروف، الرماني (علي بن عيسى)، تح عرفان بن سليم العشا حسّونة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1426هـ/ 2005م، ص37.

الترتيب والتعقيب لأنك لو قلت: قام زيد فعمرو؛ فهذا دليل على أن عمرو قام بعد زيد بلا مهلة أي أنها تدل على الاتصال[1]، والفعل (اسكن) في الآيتين ليس بأمر السكون الذي هو ضد الحركة، وإنما الذي في البقرة من السكون الذي يعني الإقامة التي تستدعي زمنا ممتدا لهذا لم يصلح إلا بالواو التي تفيد الجمع، لأن المعنى: اجمع بين الإقامة في الجنة والأكل من ثمارها، ولو حل الفاء مكان الواو لاستلزم ذلك تأخير الأكل إلى ما بعد الإقامة، لأن الفاء تفيد التعقيب.

أما (اسكن) الذي في الأعراف فمن السكنى وهو اتخاذ الموضع مسكنا، ذلك لأن الله تعالى أخرج إبليس من الجنة قائلا: ﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٨ ﴾ [الأعراف 18]، ثم خاطب آدم قائلا: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنَ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ [الأعراف19]، أي اتخذا لأنفسكما مسكنا، وقال:﴿ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَاۖ ﴾ [الأعراف19] فاتخاذ المسكن لا يستدعي زمانا ممتدا، كما لا يمكن الجمع بين الاتخاذ والأكل فيه، بل يقع الأكل عقب الاتخاذ، فكان الفاء أولى. وزاد في البقرة (رغدا) للتعظيم الذي زاده في الخبر بقوله: (وقلنا) بخلاف سورة الأعراف قال فيها: (قال)[2].

وذهب الخطيب إلى أن: (اسكن) يقال لمن دخل مكانا فيراد به: إلزم المكان الذي دخلته ولا تنتقل منه، كما يقال أيضا لمن لم يدخل المكان: اسكن هذا المكان؛ ويراد به: ادخله واسكنه، فعلى هذا الوجه قوله تعالى في الأعراف:﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنَ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَاۖ ﴾[19] بالفاء، فكأنه قال لآدم: اسكن أنت وزوجك الجنة: أي أدخل، بمعنى:

1 ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، الحسين بن قاسم المرادي، تح فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ/ 1992م، ص61.

2 ينظر: البرهان، الكرماني، ص26_27.

أدخل ساكنا، ليوافق الدخولُ الخروجَ؛ لأنه عز وجل قال لإبليس:﴿ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا ﴾ [الأعراف18]، فيكون أحد الخطابين لهما قبل الدخول والآخر بعده[1].

ونستخلص من التوجيهات السابقة أن (اسكن) في البقرة جاء يراد به الإقامة التي تستدعي زمنا ممتدا، لذلك لا بد من الجمع بينها وبين الأكل فعطف (بالواو) الجامعة، بينما (اسكن) في الأعراف أريد به الدخول المقابل للخروج بمعنى دخول آدم وحواء الجنة وخروج إبليس منها، وهذا الدخول لا يستدعي زمنا ممتدا كالذي تستدعيه الإقامة، فلا يلزم الجمع بين الدخول والأكل لذلك عطف (بالفاء) المفيدة للترتيب والتعقيب.

ب- سبب اختلاف حرفي العطف (الفاء والواو) عند عطف جملة (كلوا) ففي البقرة عطفها بالفاء، وفي الأعراف عطفها بالواو

قال عز وجل:﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ يُغْفَرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿58﴾ ﴾[البقرة58]، وقال أيضا:﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿161﴾ ﴾[الأعراف 161]:

بين الكرماني العلة في العطف بالفاء في آية سورة البقرة؛ وهي أنه قيل لهم ﴿ادْخُلُوا﴾ [58]، والدخول سريع الانقضاء فيتبعه الأكل، أما في الأعراف فقد ذكر (كلوا) بالواو لأنه﴿قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا﴾ [161]؛ أي أقيموا فيها، لذلك ذكر الأكل مقترنا بالواو بمعنى:

1 ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي، ج1، ص223_224.

اجمعوا بين الأكل والسكون[1]، فقد اتفق جماهير الفقه على أن الواو لمطلق الجمع لا تدل على ترتيب ولا على معية، وأنها تستعمل فيما لا يدل على ترتيب كقولك: تقاتل زيد وعمرو فقد أشركت بينهما في الحكم من غير ترتيب[2]، وقد مثل لذلك سيبويه بقولهم: مررت برجل وحمار قبلُ، لأن الواو أشرك بين الرجل والحمار في الجر بالباء؛ وأنهم باستعمال الواو لم يجعلوا للرجل منزلة يكون بها أولى من الحمار مهما قدموا إياه في الكلام على الحمار؛ فكأن القول: مررت بهما، فليس في ذلك دليل على أنه بدأ بشيء قبل شيء، فيجوز أن تقول : مررت بزيد وعمرو، والمبدوء به في المرور يمكن أن يكون زيدا، كما يمكن أن يكون عمراً ويجوز أن يكون المرور قد وقع عليهما في وقت واحد وحالة واحدة، يقول سيبويه: « فالواو تجمع هذه الأشياء على هذه المعاني. فإذا سمعت المتكلم يتكلم بهذا أجبته على أيّها شئت؛ لأنها قد جمعت هذه الأشياء. وقد تقول: مررت بزيد وعمرو، على أنك مررت بهما مرورين وليس في ذلك [دليل] على المرور المبدوء به، كأنه يقول: ومررت أيضا بعمرو. فنفي هذا: ما مررت بزيد وما مررت بعمرو»[3].

وهو ما أشار إليه الغرناطي في "ملاك التأويل"؛ لأن الأكل لا يكون إلا بعد الدخول، ولا يكون قبله ولا معه لذلك جيء بالحرف المحرز لمعنى التعقيب في البقرة، وأما في الأعراف فإن الأكل يأتي مع السكن ومساوق له فجيء بالحرف المحرز لمعنى الاشتراك وهو حرف الواو[4].

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص28.

2 ينظر: حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه، محمود سعد، (د ط)، (د ت)، ص24_25.

3 الكتاب، سيبويه، ج1، ص438.

4 ينظر: ملاك التأويل، الغرناطي، ص37.

ت- علة اختلاف أداتي النفي (لن) و(لا)

قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٤ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٩٥﴾[البقرة94_95]، وقال أيضا: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٧﴾[الجمعة 7]:

وجه الكرماني اختلاف أداتي النفي بين الآيتين المتشابهتين في سورتي البقرة والجمعة على أن: دعوى المشركين في آية سورة البقرة قاطعة بأن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس قال عز وجل:﴿قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٤﴾[البقرة 94]، فدعواهم هنا مطلوب ليس وراءه مطلوب لذلك بالغ في الرد عليهم ب (لن) أبلغ ألفاظ النفي؛ فقال:﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا﴾[البقرة 95][1]. ف (لن) جواب لمُثْبِت أمرٍ في المستقبل؛ إذ لو قال أحدهم: سيقوم زيد، تقول أنت: لن يقوم وقيل أن معناها: (لا أن) فحذفت الهمزة للتخفيف والتقت ألف (لا) مع نون (أن) وهما ساكنان فحذفت ألف (لا) والتقت اللام والنون في (لن)[2].

أما دعواهم في الجمعة فهي قاصرة مترددة ليست المطلوب الذي ليس وراءه مطلوب؛ وهي زعمهم أنهم أولياء الله، وذلك في قوله تعالى:﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص32.

2 ينظر: الصاحبي في فقه اللغة، أحمد بن فارس، تح السيد أحمد صقر، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص256.

أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿6﴾ ﴾[الجمعة 6]؛ لذلك لم يبالغ في الرد عليهم واقتصر على أداة النفي (لا) فقال: ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا ﴾ [الجمعة 7][1] .

وقد ذهب الزمخشري إلى أن (لن) جاءت لتأكيد ما تقدمه (لا) من نفي المستقبل قائلا: « ولا فرق بين لا ولن في أن كل واحدة منهما نفي للمستقبل إلا أن في لن تأكيدا وتشديدا ليس في لا. فأتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه، ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه»[2]؛ نحو قولك: لا أبرح اليوم مكاني، فإذا وكدت وشددت قلت: لن أبرح اليوم مكاني، وقال عز وجل: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴿60﴾ ﴾[الكهف 60]، وقال أيضا: ﴿ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۡ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿80﴾ ﴾ [يوسف 80][3].

ث- توجيه اختلاف حرفي الجر (إلى) و(على) بين الآيتين

قال جل وعلا:﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿136﴾ ﴾[البقرة136]، وقال أيضا: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص32.

2 تفسير الكشاف، أبو القاسم جار الله الزمخشري، تح خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 1430هـ/2009م، ج28، ص1106.

3 ينظر: شرح المفصل في صنعة الإعراب، القاسم بن الحسين الخوارزمي، تح عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990م، ج4، ص89.

﴿إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٨٤﴾ [آل عمران84]:

لحروف الجر معانٍ في ذاتها ومع ذلك فإنه لا يمكن تحقق تلك المعاني تحققا صحيحا إلا بارتباطها بحدث من الأحداث. فمعانيها لا تقتصر عليها فقط بل ترتبط بغيرها من عناصر التركيب، ولذلك جاء الجر في آية البقرة بالحرف (إلى) الذي يحمل معنى انتهاء الغاية إلى الشيء من أي جهة كانت في الزمان، والمكان، وغيرهما، وهو أصل معانيها[1]، وعلى هذا الأساس اعتمد الكرماني في توجيه اختصاص كل آية بما اختصت به من حرف الجر؛ فالكتب منتهية إلى الأنبياء وأمتهم جميعا، والخطاب في سورة البقرة لهذه الأمة لقوله تعالى:﴿ قُولُوٓاْ ﴾ [البقرة136]، فلم يصح إلا استعمال (إلى) للدلالة على انتهاء الغاية الزمانية، أما (على) فهو يحمل معنى الاستعلاء المعنوي والفوقيةويختص بجانب الفوق[2]، فما في آل عمران مختص بالأنبياء لأن الكتب منزلة عليهم ولا شراكة للأمة فيها[3]، وهو الرأي الصواب فيما نحسب.

1 ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص385.

2 ينظر: النحو التطبيقي، خالد عبد العزيز، دار اللؤلؤة، مصر، ط1، 1439هـ/2018م، ص573.

3 ينظر: البرهان، الكرماني، ص35.

2.سورة الأنعام

أ- علة اختلاف حرفي العطف (ثم) و(الفاء)

جاء في قوله جل وعلا:﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (11) ﴾[الأنعام11]، وجاء في قوله:﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137) ﴾ [آل عمران137]، وجاء في قوله أيضا:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (36) ﴾[النحل36]، وجاء في قوله أيضا:﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (69) ﴾[النمل69]:

يدعو الله عز وجل في الآيات إلى السير في الأرض والنظر والتدبر في عاقبة المكذبين بالله تعالى ورسله، إلا أنه جلّ وعلا لم يعطف الفعل (انظروا) على ما قبله بالحرف نفسه في كل الآيات ، بل عطفه تارة بالفاء وتارة ب (ثم) فما العلة في ذلك؟

يستعمل حرف العطف (ثم) للدلالة على التراخي في حدوث الفعل، وأن الثاني حدث بعد الأول وبينهما مهلة، ويستعمل الفاء للدلالة على التعقيب، فهي تدل على أن الثاني بعد الأول ولا مهلة[1]. ففي سورة الأنعام تقدم ذكر القرون في قوله تعالى:﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ

1 ينظر: حروف المعاني، الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق)، تح علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406هـ/1986م، ص16ص39.

قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾[الأنعام6]، ثم ذكر إنشاء قرن آخرين في قوله: ﴿وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝6﴾ [الأنعام6]؛ وقد أمرهم سبحانه وتعالى باستقراء الديار والتأمل في آثارهم على كثرتها، فيكون ذلك على زمن طويل، لذلك خصت هذه الآية ب (ثم) للدلالة على التراخي في حدوث الفعل، حتى يعلم أن فعل السير مأمور به على حدة، وفعل النظر مأمور به على حدة، وهذا ما لم يكن في السور الأخرى فخصت بالفاء للتعقيب[1].

3.سورة الأعراف

أ- توجيه اختلاف حرفي العطف (الواو) و(الفاء)

جاء في قوله عز وجل:﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝80 إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝81 وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝82 ﴾[الأعراف80_82]، وجاء في قوله أيضا:﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝56 ﴾ [النمل56]، وقال أيضا:﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝28 أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝29 ﴾ [العنكبوت 28_29]:

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص60.

الواو يفيد الاشتراك، أما الفاء فيفيد التعقيب والتعقيب يكون مع الأفعال؛ ومن ذلك قولك: مررت بزيد فعمرو، ومررت برجل فامرأة، فالفاء هنا أشركت بينهما في المرور، وجعلت الأول مبدوءا به في المرور[1].

وقد جاء في سورة النمل: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ٥٥﴾ [النمل55]، فعقب على الفعل (تجهلون) بالفاء في قوله:﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ﴾ [النمل56]، وكذلك في العنكبوت عقب على الفعل (تأتون) بالفاء في قوله: ﴿وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ﴾ [العنكبوت29]، أما في سورة الأعراف فجاء في قوله:﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ٨١﴾ [الأعراف81] و(مسرفون) وإن أدى معنى الفعل فهو اسم فعطف بالواو :﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ﴾[الأعراف82][2].

4.سورة التوبة

أ- سبب اختلاف حرفي العطف في قوله تعالى (فلا تعجبك) وقوله (ولا تعجبك)

قال عز وجل:﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥﴾ [التوبة55]، وقال أيضا:﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٨٥﴾[التوبة85]:

1 ينظر: الكتاب سيبويه، ج1، ص438.

2 ينظر: البرهان، الكرماني، ص79.

العلة في اختلاف حرفي العطف بين التعبيرين تعود إلى صلة كل جملة بما قبلها؛ فقوله تعالى: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ﴾**[التوبة55]** سبقه قوله: ﴿وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ٥٤﴾[التوبة54]، فالفعل (يأتون) و(ينفقون) مستقبل يتضمن معنى الشرط، و(الفاء يتضمن معنى الجزاء)[1]؛ ولما كان الفعل الذي قبل الفاء بمعنى الشرط صار ما بعدها في موضع الجزاء، أي إن يكن منهم ذلك فجزاؤهم (فلا تعجبك أموالهم)ولذلك خصت هذه الآية بالفاء[2]. أما الآية الثانية فقد جاء قبلها أفعال ماضية قال تعالى:﴿إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨٤﴾[التوبة84] والماضي منقطع لا يتضمن معنى الشرط كما أن الميت لا يقع منه الفعل فكان الواو هنا أحسن[3].

5. سورة الشعراء

أ- علة الاستفهام ب(ما) في الآية الأولى، والاستفهام ب(ماذا) في الآية الثانية

جاء في قوله تبارك وتعالى:﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١﴾[الشعراء70]، وجاء في قوله أيضا:﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ٨٥﴾[الصافات85]:

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص88.

2 ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي، ج2، ص713_714.

3 ينظر: البرهان، الكرماني، ص88.

ذهب الكرماني في توجيه الآيتين إلى أن (ما) جاء لمجرد الاستفهام في قوله تعالى: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠﴾ [الشعراء70]، فكان جوابهم أن قالوا:﴿نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا﴾[الشعراء71]، أما (ماذا) ففيها مبالغة كما أنها هنا تتضمن معنى التوبيخ لأنه وبخهم بقوله: ﴿أَئِفۡكٗا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٧﴾ [الصافات86_87]، وهكذا جاء في كل سورة ما اقتضاه المعنى[1].

فاسم الاستفهام (ما) يستخدم للاستفهام عن غير العاقل سواء للسؤال عن ذاته أو عن ماهيته وحقيقته، فتكون الإجابة عنه بالتعويض؛ أي يعوض عنه في الإجابة بما سئل عنه به، نحو: ما تشربون؟ تكون الإجابة: نشرب ماء، أما (ماذا) فهو اسم استفهام مركب من (ما) و(ذا)، وقد جعلها البعض أبلغ وأوكد من (ما) وحدها، ولذلك حين قصد في آية الشعراء التنبيه كانت (ما) كافية للاستفهام، وحين بالغ وقصد التوبيخ والتبكيت والتقريع استعمل اللفظ الأبلغ (ماذا)،فما جاء في آية الصافات استفهام مجازي أريد به الإنكار والتحقير[2]« وذلك أن المستفهم عن الشيء قد يكون عارفا به مع استفهامه في الظاهر عنه، لكن غرضه في الاستفهام عنه أشياء، منها أن يري المسئول أنه خفي عليه ليسمع جوابه عنه، ومنها أن يتعرف حال المسئول هل هو عارف بما السائل عارف به»[3]، وهو ما كان متحققا في الآيتين من الاستفهام ب(ما) وب(ماذا).

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص140_141.

2 ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي، ج2، ص965_966.

3 ينظر: الخصائص، ابن جني، ج2، ص464.

وهناك من يرى (ذا) لغوا بعد (ما) كقولك: ماذا أردت؟ أخيرا أم شرا؟ ف (ما) و(ذا) اسم واحد بمعنى (ما)، و(ذا) لغوٌ[1]، وعلى هذا الرأي لا يكون هناك اختلاف في معنى الآيتين في قوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ ﴿70﴾﴾ [الشعراء70]، وقوله: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿85﴾﴾ [الصافات85] من حيث الاستفهام ب (ما) أو ب (ماذا).

1 ينظر: كتاب الأزهية في علم الحروف، علي بن محمد الهروي، تح عبد المعين الملوحي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ط2، 1413هـ/1993م، ص206.

المبحث الثاني:

الذّكر والحذف

يعمد أهل اللسان العربي بالعادة إلى الإيجاز، لذلك رأيتهم يقنّنون للحذف ويضعون له موجبات ومجوزات، فإذا كان بالإمكان إدراك المعنى الذي قصده المتكلم دون ذكر اللفظ فينبغي أن يكون لذكره مع ذلك مسوغ يرجّح له الذكر، وهو الحال إذا حذفنا لفظا يمكن للمخاطَب إدراك معناه دون ذكره، فلكل من الذكر والحذف دواعٍ تقتضيهما الحال ويناسبهما المقام.

ولعل القرآن الكريم باعتباره أول مصادر الاحتجاج اللغوي لا يعدو أن يشتمل على مواطن لذكر اللفظ وأخرى لحذفه سعيا لتحقيق مقاصد بلاغية وتحقيق معان إعجازية، نسعى للكشف عنها في هذا المبحث:

1.سورة البقرة

أ- توجيه ذكر الواو في آية سورة (يس)، وحذفها في سورة (البقرة)

جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝6﴾ [البقرة 6]، وجاء في قوله أيضا: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝10﴾ [يس 10]:

تشابهت الجملتان في الآيتين لكن اختلفتا في زيادة ونقصان حرف الواو، وذلك لأن **(سواء)** التي في سورة البقرة هي خبر ل: إنّ، فالجملة التي قبل سواء لا محل لها من الإعراب لأنها صلة موصول[1]، أما **(سواء)** التي في سورة يس فهي جملة معطوفة على جملة قبلها فكان لا بد من وجود حرف عطف وهو حرف (الواو)، قال تعالى:﴿وَسَوَآءٌ

1 ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي (أبو القاسم محمد بن أحمد)، تح محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ/1995م، ج1، ص52.

عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿10﴾ ﴾[يس 10]، فالكلام في هذه الآية كلام مستأنف معطوف على﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سُدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سُدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿9﴾ ﴾[يس9] فتكون الواو عاطفة لهذا زيدت في آية سورة (يس)[1].

أي القاعدة النحوية هي التي وجهت الذكر والحذف ها هنا.

ب- علة ذكر حرف الجر (من) في آية سورة البقرة، وحذفها من آية سورة هود

ورد في قوله عز وجلّ:﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿23﴾ ﴾[البقرة 23]، وورد في قوله أيضا: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿38﴾ ﴾[يونس38]:

بين الكرماني سبب ذكر (من) في الآية الأولى، وحذفها من الآية الثانية مرجعا سبب ذلك إلى أن سورة البقرة هي سنام القرآن، وأوله بعد الفاتحة فكان دخول (من) فيها وهي تدل على التبعيض إذ يمكن أن تقدّر ب(بعض)[2] أي: إن كنتم في ريب مما نزلنا فأتوا ببعض منه دليلا على أن التحدي واقع على جميع سور القرآن، في حين لو دخلت (من) في السور التي بعدها لكان دليلا على أن التحدي يقع على بعض السور دون بعض[3].

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص23.

2 ينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي،أحمد بن عبد النور، تح أحمد محمد الخراط، مجمع اللغة العربية، دمشق، (د ط)، (د ت)، ص323.

3 ينظر: البرهان، الكرماني، ص25.

مؤكدا أن الهاء في (مثله) تعود على (ما) وهو القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَاتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾[البقرة23]، وذهب بعضهم إلى أنها تعود على النبي محمد صلى الله عليه وسلم في قوله : (على عبدنا)؛ فيكون المعنى فأتوا بسورة من عند إنسان مثله[1].

أما فاضل صالح السامرائي فقد بين المعنى بين التعبيرين بعد أن مهد لذلك بتوضيح الفرق بين (ائتني بشيء من مثله) و(ائتني بشيء مثله)، ذلك أن الأول يعني افتراض أن له مثلا يقال: إنّ لهذا الشيء أمثالا، فتقول: ائتني بشيء من هذا المثل، أما قولك: (ائتني بشيء مثله) فهذا يعني أنه قد يكون له أمثال وقد لا يكون، فتقول لصاحبك: ائتني بشعر مثل هذا؛ بمعنى ائتني بشعر مثل هذا الشعر سواء كان مستحدثا أو موجودا من قبل[2].

ثم ذهب يبين الفرق بين الآيتين قائلا: « وبعد هذه المقدمة في التفريق بين معنيي (من مثله) و(مثله) نقول:

قوله: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) أعم من قوله: (أم يقولون افتراه) في يونس وهود لأن مظنة الافتراء واحد من أمور الريبة. فالريبة قد تكون من مظنة الافتراء أو غيره، فإنهم قالوا: ساحر أو مجنون أو يعلمه بشر وما إلى ذلك.

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص26.

2 ينظر: أسئلة بيانية في القرآن الكريم، فاضل صالح السامرائي، مكتبة الصحابة، الإمارات، ط1، 1429هـ/2008م، ج1، ص9.

قوله: في البقرة (من مثله) يحتمل أن يكون من مثل القرآن أو من مثل الرسول أي من شخص أمي لم يتعلم. وهو أعم مما في الآيتين في يونس وهود فإنهما نص في أن المطلوب أن يأتوا بمثل القرآن. فناسب العمومُ العمومَ، وإن كان المعنى الأول هو الأظهر »[1].

وبالجملة فإن الكلام في قوله (من مثله) هو: إن كان (من مثله) صفة سورة يجوز أن يعود الضمير إلى (ما) وإلى عبدنا، وإن كان متعلقا ب(فأتوا) وجب أن يكون الضمير عائدا على العبد؛ لأنه إن كان (من مثله) صفة وكان عود الضمير إلى (ما) تكون (من) زائدة، والمعنى حينئذ: فأتوا بسورة مثل القرآن في حسن نظمه واستقامة معناه وجزالة تركيب ألفاظه وفخامتها، ولا وجه لاعتبار أن يكون النظر إلى مثل بعض القرآن وكله، فليس المقصود أن يكون مبدأ الإتيان هذا أو ذاك، ولا تكون (من) للتبعيض ولا ابتدائية فهي زائدة، أمّا إذا عاد الضمير إلى (عبدنا) فتكون من ابتدائية. أما إن كان (من مثله) متعلقا ب(فأتوا) فلا تكون (من) زائدة لأن حروف الجرّ إن كانت زائدة لا تتعلق بشيء، وهنا تعين أن يكون المعنى: فأتوا بسورة من مثل عبدنا وتكون (من) ابتدائية؛ لصحة أن يقال: سورة كائنة من مثل عبدنا بأن يكون الكلام كلامه وهو قائله[2].

معنى هذا أن (من مثله) في البقرة تحتمل أن يكون المطلوب: أن يأتوا بسورة من مثل سور القرآن، أو أن يأتوا بسورة من عند مثل الرسول صلى الله عليه وسلم أي من بشر أميّ، وهو أعم من (مثله) في هود ويونس والتي معناها أن يأتوا بمثل القرآن.

1 أسئلة بيانية في القرآن الكريم، فاضل صالح السامرائي، ج1، ص9_ 10.

2 ينظر: الأشباه والنظائر في النحو، السيوطي (جلال الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، ج4، ص33_34.

ت- توجيه ذكر الواو في آية سورة إبراهيم، وحذفها من آية سورة البقرة

قال عز وجل:﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿49﴾﴾**[البقرة49]، وقال أيضا:** ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿6﴾﴾**[إبراهيم6]:**

لم يذكر الواو في آية سورة البقرة لأن ما فيها من كلام الله عز وجل فلم يعدد عليهم المحن، أي أنهم يسومونكم سوء العذاب بذبح أبنائكم، أما ما في إبراهيم فمن كلام موسى عليه السلام، الذي عدد عليهم المحن، وكان مأمورا بذلك في قوله تعالى:﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم5][1]، فزيادة الواو في إبراهيم دلالة على زيادة المحن وكثرتها،لأنه إذا عطفت بالواو جملة على جملة لم يلزم الإشراك في اللفظ ولا في المعنى كما في عطف الأسماء؛ نحو: قام زيد وعمرو، فهنا أشركت زيدا وعمرا في القيام[2]، فمعنى الآية: يسومونكم سوء العذاب محنة، ويذبحون أبناءكم محنة أخرى، وفي حين ارتبطت المحن بكلام الله لم يشأ تعدادها كرما منه، وتعظيما ورفعة له.

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص28.

2 ينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي، ص415.

وجملة **(يذّبحون)** يحتمل أن تكون مفسرة للجملة قبلها، وهذا التفسير على ضربين؛ أحدهما: أن تكون مستأنفة فلا محل لها من الإعراب، وكأنه قيل: كيف كان يسومهم العذاب؟ فقيل: يذبحون. والثاني: أن تكون بدلا من تلك الجملة، كقول عبيد الله الجعفي:

مَتَى تَأْتِنَا تُلْمِمْ بِنَا فِي دِيَّارِنَا تَجِدْ حَطَبًا جَزْلاً ونَارًا تَأَجَّجَا[1]

ف (تلمم) بدل من (تأتنا)، فلا محل لها من الإعراب، ولذلك ترك العاطف (حرف الواو).

ففي سورة البقرة كما قلنا أُريد التفسير، أما في سورة إبراهيم؛ فمعناه يعذبونكم بالذبح وبغير الذبح فقد جعل (يسومونكم سوء العذاب) هي عبارة عن ضروب من المكروه هي غير الذبح فلم يكن ذلك إلا بالواو[2].

ث- وجه المعنى من ذكر الفعل (كانوا) في آية سورة البقرة، والأعراف، وحذفهمن آية سورة آل عمران

ورد في قوله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿57﴾ ﴾[البقرة57]، وورد أيضا في قوله:﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ

1 البيت من الطويل، وهو لعبيد الله بن الحر الجعفي في قصيدة تزيد عن ثلاثين بيتا قالها وهو في حبس مصعب بن الزبير في الكوفة، ينظر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، (د ط)، (د ت)، ج9، ص96.

2 ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي (أحمد بن يوسف)، تح أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د ط)، (د ت)، ج1، ص345_346.

وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَـٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿160﴾ ﴾ [الأعراف160]، وقال: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿117﴾ ﴾[آل عمران117]:

ذَكر الفعل (كانوا) في آيتي سورتي البقرة والأعراف، وحذفه من آية سورة آل عمران؛ لأن سياق الآيات في البقرة والأعراف عن قوم ماتوا وانقرضوا قبل النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهم قوم بني إسرائيل؛ فكان « يفيد اتصاف الاسم بالخبر في الماضي. إما مع الانقطاع نحو: كان الجو صحوا وإما مع الاستمرار نحو: ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿54﴾ ﴾[الفرقان54] »[1]. وقد تحدث عنها سيبويه في باب: الفعل الذي يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول واسم الفاعل والمفعول، فيه لشيء واحد؛ وبين ارتباطها بالزمن ممثلا بقولك: كان عبدُ الله أخاك، ففي هذا المثال إنما أردت أن تعبر عن الأخوة، ولكن أدخلت (كان) للدلالة على أن ذلك في زمن مضى[2].قال عز وجل:﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿55﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿56﴾ ﴾[البقرة 55_ 56]، وقال أيضا: ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَـٰمَ وَأَنزَلْنَا

1 دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن صالح الفوزان، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط1، 1999م، ج1، ص196.

2 ينظر: الكتاب، سيبويه، ج1، ص45.

عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿160﴾ ﴾ [الأعراف160]، أما ما في آل عمران فهو مثل لقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿117﴾ ﴾[آل عمران117]، فالمثل يبقى صالحا لكل زمان لذلك لم يستعمل الفعل (كان) الذي يدل على حدوث الفعل وانتهائه في الزمن الماضي[1].

ج- توجيه ذكر الواو في (وسنزيد) في آية البقرة، وحذفها من (سنزيد) في الأعراف

جاء في قوله سبحانه وتعالى:﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿58﴾ ﴾ [البقرة58]، وجاء في قوله:﴿ وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿161﴾ ﴾[الأعراف161]:

نقل الكرماني في توجيهه لهذا الذكر والحذف رأي الخطيب الإسكافي الذي يرى: أن قوله (ادخلوا) جاء في موضع المفعول من (قلنا)، فالجملة (ادخلوا) في محل نصب مقول القول لأن المفعول يكون مفردا ويمكن أن يكون مكانه جملة، بينما الفاعل عند البصريين لا يكون إلا مفردا ولا يجوز أن يحل محله جملة؛ فقد قالوا في قوله تعالى:﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص28.

﴿الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴿35﴾﴾ [يوسف35] : إنّ فاعل بدا هو: البداء الذي دل عليه الفعل، لأن الفعل يدل على مصدره، وكذلك قالوا في قوله عز وجل:﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ ﴾[السجدة26]؛ فاعل يهد مفرد محذوف هو الهدي وتقدير القول: أو لم يهد لهم الهدي. فعلى مذهب البصريين لا يجوز أن يكون (اسكنوا) مكان الفاعل رغم كون لفظه في موضع الفاعل، كما كان (ادخلوا) مكان المفعول لأنه في موضع المفعول في قوله (وإذ قلنا لهم ادخلوا)، لأن فاعل (وإذ قيل لهم اسكنوا) لا بد أن يكون مفردا ولا يصح أن يكون جملة، وعلى هذا المذهب يكون الفاعل لفظا مفردا هو (القول)، وهنا يخرج (اسكنوا) عن كونه فاعلا وكان لفظه في موضع الفاعل، ولم يتعلق بالفعل الذي قبله تعلق الفاعل بفعله معنى، ولا تعلق المفعول بالفعل الواقع به في قوله:(وإذ قلنا ادخلوا) فصار منفصلا عن الفعل في الحكم وإن كان متصلا به في اللفظ. وجواب الأمر في قوله (اسكنوا) هو قوله(نغفر لكم)، وهذا الجواب في حكم الابتداء؛ فينفصل كما ينفصل الابتداء ولا دليل في اللفظ على انفصاله إلا بفصل ما أصله أن يكون متعلقا به بحرف من حروف العطف وهو (سنزيد) فحذف حرف العطف (الواو) دلالة على ذلك الانفصال[1]، فكان « (سنزيد) محذوف الواو ليكون استئنافا لكلام»[2].أما ما في سورة البقرة فقد جاء بالواو لأن اتصالها بما قبلها أشد.

1 ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي، ج1، ص238_241.

2 البرهان، الكرماني، ص29.

2.سورة آل عمران

أ- توجيه ذكر(الواو) والجار والمجرور (به) في آية سورة الأعراف، وحذفهما من آية سورة آل عمران في قوله: (من آمن به و تبغونها عوجا)

قال عز وجل: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿99﴾ ﴾[آل عمران 99]، وقال أيضا: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿86﴾ ﴾[الأعراف 86]:

ما جاء في الأعراف من ذكر (به) على القياس، أما ما في آل عمران فقد جاء موافقا لما قبله في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ [آل عمران97]، والقياس فيها أيضا: من كفر به[1].

وبالنسبة للواو فجملة (تبغونها عوجا) جملة حالية، والواو لا تزداد مع الفعل المضارع المثبت غير المسبوق بقد إذا كان حالا، وعلة هذا الامتناع هي مضارعة الفعل المضارع لاسم الفاعل زنة ومعنى أي من حيث الحركات والسكنات، ومن حيث الدلالة على الزمن الحاضر المقارن لزمن العامل؛ فكما لا يصح أن تقول: قام زيد وضاحكا، لا يصح أن تقول: قام زيد ويضحك، ومجمل أقوال النحاة في أصل الحال: دلالتها على الزمن الحاضر المقارن لزمن العامل، وإفادة التجدد في الحدوث، والإثبات؛ فهذه الأصول الثلاثة للحال كلما تحققت واقتربت الجملة منها ضعفت حاجتها للواو، وكلما ابتعدت الجملة عنها كلما زادت حاجتها

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص48.

للواو[1]، أما ما في الأعراف فالواو واو العطف وليست واو الحال، والحال هو جملة (توعدون)، و(تصدون) عطف عليه كذلك، كما عطف عليه (تبغونها عوجا)[2].

وعليه فجملة (تبغونها) في آية سورة آل عمران استوفت أصول الحال الثلاثة؛ فالفعل المضارع (تبغون) يدل على الزمن الحاضر، كما أنه يفيد الاستمرارية والتجدد في الحدوث وهو فعل مثبت لا منفي لذلك لم يحتج إلى واو الحال. أما في آية سورة الأعراف فحدث هناك عطف والواو هي الرابطة للجملتين ولولاها ما وقع بينهما ارتباط.

3.سورة المائدة

أ-توجيه ذكر (يا قوم) في آية سورة المائدة، وحذفها في آية سورة إبراهيم

جاء في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿20﴾ ﴾[المائدة20]، وجاء في| قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿6﴾ ﴾ [إبراهيم6]:

يذكر الكرماني أن التصريح بالمخاطب دليل على تعظيمه؛ فلما كان في سورة المائدة ما كان من ذكر الآلاء في قوله تعالى:﴿عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم

---

1 ينظر: المشاكلة بين واو الحال وواو المصاحبة في النحو العربي، عبد الجبار فتحي زيدان، مكتبة الجيل العربي، الموصل، العراق، ط1، 1430هـ/2009م، ص ص16_18.

2 ينظر: البرهان، الكرماني، ص48.

مَّا لَمۡ يُوتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿20﴾ ﴾ [المائدة 20]، صرح بالمنادى فقال (يا قوم)، وكذلك لموافقة ما قبله وما بعده من النداء، وهو قوله تعالى: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿21﴾ ﴾[المائدة21]، وقوله: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿24﴾ ﴾[المائدة24]، ولم يكن في سورة إبراهيم ما في المائدة فاكتفى بخطابهم دون نداء[1].

ونظن أن النداء في سورة المائدة فيه دلالة على بعد المسافة بين موسى عليه السلام وقومه، أو دلالة على بعدهم عن الدين، فمن قوله مناديا: (يا قوم)، علمنا أنهم كانوا بعيدين عنه حقيقة أو حكما كالساهي، لأن المنادى البعيد له أحرف خاصة لندائه مجموعة في قوله:

وَلِلمُنَادَى النَّاءِ أَوْ كَالنَّاءِ يَا وَأَيُّ وَآ كَـذَا أَيَا ثُمَّ هَيَا[2]

أما في آية سورة إبراهيم فلم يكن هناك نداء؛ لأن حق المنادى أن يمنع حذفه، فعامله قد حذف لزوما وصار هو بدلا منه مشابها للأشياء التي حذف عاملها وصارت هي بدلا من اللفظ به، لكن العرب أجازت حذف المنادى والتزمت في حذفه بقاء (يا) دليلا عليه[3]، والآية خلت من حرف النداء كما خلت من المنادى دلالة على عدم وجود نداء فيها.

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص58.

2 ينظر: شرح المكودي على الألفية في علمي الصرف والنحو، تح عبد الحميد هنداوي، المكتبة العرية، بيروت، لبنان، (د ط)، 1425هـ/2005م، ص236.

3 ينظر: شرح التسهيل، ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله)، تح عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، هجر للطابعة والنشر والتوزيع، ط1، 1410هـ/1990م، ج2، ص388.

4.سورة الأنعام

أ- علة حذف حرف الباء في آية سورة الأنعام، وذكرها في آية سورة ن

جاء في قوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿117﴾ ﴾[الأنعام117]، وجاء في قوله أيضا:﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿7﴾ ﴾[ن7]:

الأصل فيهما هو إثبات الباء، لأن (أَفْعَلُ) التفضيل إذا كان فعله متعديا بنفسه دالا على (عِلْم)كانت تعديته بالباء؛ نحو: صديقي أَعْلَمُ بي وأنا أَعْرَفُ به وأدرى بأحواله[1]. ولكن حذفت في آية الأنعام موافقة لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام 124] ولأنه لما حذفت الباء التبس اللفظ بالإضافة _تعالى الله عن ذلك_فكان يجب التنبيه إلى قطع الإضافة، بالعدول إلى لفظ المستقبل (يضل)؛ ليكون المعنى: أعلم من كل واحد يعلم من يضل[2]،فصيغة أفعل أكثر ما تستعمل مع الماضي نحو: أحسن من قام وقعد، وأفضل من حج واعتمر، ولذلك لو قال: أعلم من ضل بلفظ الماضي لكان المعنى: أعلم الضالين (حاشى لله)،وما في آية سورة (ن) على الأصل ولا يحتاج إلى توجيه[3].

أما الغرناطي فقد نحى منحى آخر في توجيه هذا الإثبات والحذف معللا « أن سقوط الباء الداخلة على (من) في آية الأنعام إنما ذلك والله أعلم لاستثقال زيادتها مع الزيادة اللازمة للمضارع مع التقارب إيثارا للإيجاز والتخفيف، أما آيتا النجم والقلم فلا زيادة في الفعل لكونه

1 ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر،، ط3، (د ت)، ج3، ص432.

2 ينظر: شرح الرضي على الكافية، الرضي الإستراباذي، ج3، ص464.

3 ينظر: البرهان، الكرماني، ص68.

ماضيا فزيدت باء التأكيد الداخلة على من ويشهد لهذا اطراد زيادتها في الآيتين لورود الماضي فيهما بخلاف آية الأنعام»[1].

وذهب الخطيب إلى أن (من) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿117﴾ ﴾[[الأنعام117] بمعنى (أيّ)، ومعنى الآية: أن الله هو أعلم أي المأمورين يضل عن سبيله، أزيد أم عمرو، وهذا المعنى يرتبط بما جاء قبل هذه الآية وبعدها، فقد قال تعالى:﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿116﴾ ﴾[الأنعام116]، ثم أخبر أنه يعلم (من يضل عن سبيله) من لا يتمكنون من إغوائه، وجاء بعد هذه الآية قوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿119﴾ ﴾ [الأنعام119]. أما ما في قوله جل وعلا: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿7﴾ ﴾ [ن7] فمعناه يختلف عن معنى آية الأنعام؛ أي أن الله أعلم بأحوال من ضل وكيف ابتدأ ضلاله وإلى أين ينتهي، وقد جاء قبلها:﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿5﴾ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿6﴾ ﴾ [القلم5_6] , والمفتون هنا بمعنى الفتون؛ أي سيعلم بأييّكم يقع الفتون، وكيف يبدأ هذا الضلال والفتنة وكيف ينتهي أمره[2].

1 ملاك التأويل، الغرناطي، ص169.

2 ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي، ج2، ص540_544.

5. سورة الأعراف

أ-أثر حذف واو العطف في آية الأعراف، وذكرها في آيتي هود والمؤمنين في المعنى

جاء في قوله تعالى:﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩ ﴾ [الأعراف59]، وجاء في قوله:﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥ ﴾[هود25]، وجاء في قوله أيضا: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٢٣ ﴾[المؤمنون23]:

لم يتقدم في سورة الأعراف ذكر أخبار الرسل والرسالات ولا ذكر دعاء الخلق إلى الإيمان، ولا ورود جملة يناسبها عطف هذه الجملة عليها، لذلك فإن جملة (لقد أرسلنا نوحا) ليست جملة معطوفة وإنما هي جملة استئنافية، وقد سبق قبلها ذكر أصحاب الأعراف ثمّ قوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤ ﴾[الأعراف54] إلى قوله:﴿ وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ ٥٨ ﴾[الأعراف58]، ثم استأنف الكلام بالحديث عن إرسال نوح إلى قومه وابتدأت قصص الأنبياء[1].

أما في سورة هود فقد تقدم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم مرات فقد افتتحت السورة بذكره، قال عز وجل:﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢ ﴾ [هود2]، وقال

1 ينظر: ملاك التأويل، الغرناطي، ص189.

بعدها:﴿ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٧ ﴾[هود17]، وهكذا جاءت قصة نوح معطوفة على قصص الأنبياء التي وردت قبلها فجيء بحرف العطف (الواو) لتحقيق ذلك الترابط[1] بين القصص وبيان اشتراكها في نقطة ما وهي الدعوة إلى التوحيد، لأن الواو تفيد أن ما بعدها يشترك مع ما قبلها في معنى واحد في قوله سبحانه وتعالى:﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥ ﴾ [هود25]، وكذلك الأمر بالنسبة لسورة المؤمنين فقد تقدم فيها ذكر نوح ضمنيا في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ٢٢ ﴾[المؤمنون22] فنبي الله نوح هو أول من صنع الفلك فعطف فيها بالواو[2].

6. سورة هود

أ-الغاية من إثبات النون في (إنّنا) وحذفها من (إنّا)

قال عز وجل:﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٦٢ ﴾[هود62]، وقال أيضا: ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم

1 ينظر: الموجز في قواعد اللغة العربية، سعيد الأفغاني، ص315.

2 ينظر: البرهان، الكرماني، ص75.

بِالْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿9﴾ ﴾[إبراهيم 9]:

جاءت (إنّنا) في سورة هود على الأصل، وجاءت مخففة بحذف إحدى النونين في سورة إبراهيم؛ وذلك لأن الخطاب في الأولى مفرد فالنون المتصلة بالفعل (تدعونا) تعود على قوم صالح والفاعل ضمير مستتر تقديره (أنت) ويعود على صالح، إذن فالنون هنا واحدة، لذلك جاءت (إنّنا) على الأصل لأنه لم يستثقل حضورها في الآية، فمن عادة العرب الاستغناء عن إحدى النونات كراهية التقائهما[1]، وهو ما كان في آية سورة إبراهيم فالخطاب فيها خطاب جمع و(تدعوننا) بها نونان إحداهما رُفِعَ بها الفعل والثانية نون المدعوين، لذلك جيء ب(إنّا) للتخفيف استثقالا للجمع بين النونات لتقارب اللفظين في الآية[2].

7.سورة الكهف

أ-توجيه ذكر الواو مع (ثمانية) وحذفها مع ما قبلها

قال تعالى:﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿22﴾ ﴾[الكهف22]:

شغلت هذه الواو العلماء ففيها أقوال:

1 ينظر: الكتاب، سيبويه، ج3، ص526.

2 ينظر: البرهان، الكرماني، ص99.

أن (ثلاثة رابعهم كلبهم) و(خمسة سادسهم كلبهم) وصفان لما قبلهما؛ بمعنى: هم ثلاثة رابعهم كلبهم، وهم خمسة سادسهم كلبهم، و(وبقولون سبعة) عطف على ما قبله، وعطف عليه (وثامنهم كلبهم)، أو أن كل واحد من الثلاثة هي جملة وقعت بعدها جملة، نحو: (سيقولون ثلاثة) جملة والجملة التي وقعت بعدها هي (رابعهم كلبهم)، وكل جملة وقعت بعدها جملة فيها عائد يعود منها إليها جاز لك العطف بالواو وجاز لك تركها؛ فجملة (رابعهم كلبهم) فيها عائد يعود على الجملة التي قبلها وهو الضمير (هم) العائد على (الثلاثة) فأنت هنا في إلحاق واو العطف بالخيار[1].

وقيل أن السبعة نهاية العدد، والثمانية تجري مجرى استئناف للكلام لذلك لقب جماعة الواو هنا بواو الثمانية[2]. فمن خصائص العرب في كلامهم إلحاق الواو في الثامن من العدد إشعارا منهم بأن السبعة عندهم عدد كامل[3].

وقيل هي الواو الداخلة على الجملة الواقعة صفة للنكرة، وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف، وأن اتصافه بهذه الصفة أمر ثابت؛ فدلت على أن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات ويقين[4].

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص120.

2 ينظر: المرجع نفسه، ص120.

3 ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص167.

4 ينظر: المرجع نفسه، ص168_169.

8. سورة الأنبياء

أ-علة زيادة (بل) في آية الشعراء

جاء في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿52﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿53﴾ ﴾[الأنبياء52_53]، وجاء في قوله:﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿70﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿71﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿72﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿73﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿74﴾ ﴾[الشعراء 70_74]:

جاء قوله تعالى:﴿ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا ﴾ [الأنبياء53] إجابة منهم عن قوله: ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿52﴾ ﴾ [الأنبياء52]، فقد طلب في هذا السؤال معرفة ماهية التماثيل التي يعبدون، وهو استفهام مثبت لم يدخله النفي، أداته (ما) التي يستفهم بها عن غير العاقل[1]؛ يبحث فيه عن تصور للمستفهم عنه، فتكون الإجابة عنه بتحديد المسئول عنه دون استعمال حرف جواب[2]، أما قوله:﴿ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا ﴾ [الشعراء74] فقد جاء إجابة عن قوله:﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿72﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿73﴾ ﴾[الشعراء72_73] بصيغة الاستفهام ولكنه يفيد الإنكار، فكان عليهم أن ينفوا ما أنكره السائل فقالوا: ﴿ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا ﴾ [الشعراء74] أي: لا، بل وجدنا عليه آباءنا[3]. فكان هناك إضراب ب(بل) والعدول عن الحكم

1 ينظر: أسرار العربية، الأنباري (أبو البركات)، تح محمد بهجة البيطار، (د ط)، (د ت)، ص386.

2 ينظر: التطبيق النحوي، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط2، 1420هـ/200م، ص301.

3 ينظر: البرهان، الكرماني، ص129.

المتقدم عنها إلى إثبات الحكم الذي بعدها فعدلوا عن سماع التماثيل لهم ونفعها وضرها إلى أنهم وجدوا آباءهم لها عابدين[1]، كما أن السؤال هنا كان ب(هل) التي يسأل بها عن مضمون الجملة المثبتة، وتكون الإجابة عنها ب(نعم) في حال الإثبات و(لا) في حال النفي[2].

9. سورة العنكبوت

أ-ما وجه اختصاص آية العنكبوت ب (أن) وعدم اختصاص آية هود بها

قال عز وجل: ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿33﴾ ﴾[العنكبوت33]، وقال أيضا:﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿77﴾ ﴾ [هود77]:

ذهب النحاة إلى أن (لمّا) ظرف زمان بمعنى حين[3]يجوز زيادة (أن) المخففة قبل الماضي الموالي لها المثبت لفظا ومعنى[4]. ولكن إذا اتصل به (أن) دلّ على أن الجواب يحدث من غير تراخٍ؛ لأن معناها هاهنا (إذ) لمصاحبتها الفعل الماضي؛ نحو قوله تعالى: (بل عجبوا أن جاءهم) [ق][5]. وإنه تحقق ذلك في سورة العنكبوت في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ

1 ينظر: القواعد الأساسية في النحو والصرف، يوسف الحمادي وآخرون ، ص140.

2 ينظر: المرجع نفسه، ص170_171.

3 ينظر: القواعد الأساسية في النحو والصرف، يوسف الحمادي وآخرون، ص148.

4 ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، ص1897.

5 ينظر: المرجع نفسه، ص1693.

رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا ﴿33﴾ ﴾ [العنكبوت33]، أما في هود فإن جواب (لما) لم يقع في الحال بل طال ليحدث فلم يحسن دخول (أن)، ودليل ذلك التأخر طول الكلام واتصاله في قوله عز وجل:﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿81﴾ ﴾[هود81]، كما أنه في سورة العنكبوت جاء قوله تعالى:﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿34﴾ ﴾ [العنكبوت34]، فليس فيها ما يدل على إمهال نزول العقاب، أما في هود فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿81﴾ ﴾ [هود81] وهو ما يدل على أن الجواب لم يقع في الحال[1].

وقيل أنها زائدة؛ نحو: لما أن جاء زيد أحسنت إليه[2]، وتزاد باطراد بعد (لمّا)؛ نحو قوله جلّ وعلا: ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗا ﴾[يوسف96]، ولا تفيد غير التوكيد[3].

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص149.

2 ينظر: الجمل في النحو، الزجاجي (عبد الرحمن بن إسحاق)، مؤسسة الرسالة، ط1، 1404هـ/1984م، ص353.

3 ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، ص1691.

المبحث الثالث:

التقديم والتأخير

من البديهي أنه لا يمكن النطق بأجزاء الجملة دفعة واحدة، بل لا بد من ترتيب المفردات في التركيب وتقديم مفردة على أخرى مراعاة للمعنى المراد من الكلام، والجملة العربية لا تتميز بحتمية في ترتيب أجزائها، فإذا أردت إيصال المعنى وتحقيق بلاغة الجملة جاز لك إعادة توزيع الألفاظ بما يتناسب مع الدلالة بغض النظر عن البناء الأصلي للتركيب.

والتقديم والتأخير في المتشابه اللفظي لا يقتصر على الألفاظ فحسب، بل يطال الجمل وأشباه الجمل، فتقديم جزء من الجملة يستدعي بالضرورة تأخير الجزء الآخر، ولا بد لتقديم هذا على ذاك من دواع للتوجيه:

1.سورة الفاتحة

أ- توجيه تقديم الضمير (إياك) على الفعل

جاء في قوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿5﴾ ﴾ [الفاتحة5]:

(إيّا) كلمة ضمير خصت بالإضافة إلى المضمر، ويستعمل هذا الضمير مقدما على الفعل؛ نحو: إياك أعني وإياك أسال، ولا يستعمل مؤخرا إلا منفصلا؛ فيقال: ما عنيت إلا إياك، وإن قيل: أعنيك أصبح ضميرا متصلا[1]. وقد قدّمت **(إياك)** في الآية لأن في التقديم فائدة وهي: الاختصاص وقطع الاشتراك[2]، وإن قدمت عليه الفعل من غير استثناء صار هذا الضمير المنفصل ضميرا متصلا؛ نحو قولك: نعبدك، وفي هذه الحالة ستنتفي فائدة التقديم

1 ينظر: تفسير البغوي معالم التنزيل، البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود)، تح محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، (د ط)، 1409هـ، مج 1، ج1، ص53.

2 ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي (يوسف بن محمد بن علي)، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/2000م، ص339.

وهي الاختصاص بالعبادة[1]« وإنما يفعل ذلك لإرادة تقدم المضمر على الفعل أو ما جرى مجراه لاعتناءٍ أو موجبٍ كقوله تعالى﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿5﴾ ﴾[الفاتحة 5]، ﴿ اِيَّاكُمْ كَانُوْا يَعْبُدُوْنَ ﴿40﴾ ﴾[سبأ 40]، ﴿ مَا كَانُوْٓا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿63﴾ ﴾[القصص 63]، ﴿وَإِنَّآ أَوِ اِيَّاكُمْ لَعَلٰى هُدًى ﴾ [سبأ 24] »[2]. مع تكرار (إياك) ولو حذفت لم يدل على التقديم، ولم يظهر أن التقدير: إياك نعبد وإياك نستعين[3].

فتقديم الضمير (إيّاك) جاء للدلالة على الاختصاص ونفي الاشتراك في العبادة والاستعانة بالله، ولو جاء مؤخرا دون استثناء لما تحقق معنى الاختصاص، فلو قال: نعبدك ونستعينك لكان من الممكن عبادة غيره والاستعانة بغيره.

2.سورة البقرة

أ- علة تقديم جملة (وادخلوا الباب سجدا) على (وقولوا حطة) في البقرة، وتأخيرها في الأعراف

ورد في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ يُغْفَرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿58﴾ ﴾ [البقرة58]، وورد في قوله أيضا: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ

1 ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن، أبو البركات الأنباري، تح طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د ط)، 1400هـ/1980م، ج1، ص36.

2 رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي، ص138.

3 ينظر: البرهان، الكرماني، ص22.

﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٦١﴾[الأعراف161]:

قدم قوله عز وجل: (وادخلوا الباب سجدا) في سورة البقرة على قوله: (وقولوا حطة)، وأخرها عنها في سورة الأعراف؛ لأن ما في سورة البقرة سبق فيه الدخول فبين فيها كيفية الدخول، لقوله:﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا﴾[البقرة58]، فقد سبق الحديث عن الدخول فبين طريقته قائلا: ﴿وَادۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾[البقرة 58]، أما في الأعراف فقد سبق الحديث عن السكن لقوله:﴿وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ﴾ [الأعراف161]؛ لذلك قدم فيها قوله: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [الأعراف161][1].

ونشير إلى رأي الخطيب في ذلك وهو أن ما أخبر به الله عز وجل من قصة موسى عليه السلام، وقصص الأنبياء قبله وبني إسرائيل، وما حكاه عنهم من قولهم ومن قوله عز وجل لهم لم يُرد به حكاية الألفاظ بأعيانها، وإنما أراد اقتصاص معانيها[2]، والمراد بذلك ما يقابل لفظ المحكي عنه بهيئته وترتيبه؛ فيشمل تقديم بعض الألفاظ وتأخيرها، أو تغيير إعرابها[3] وكيف لا يكون ذلك فاللغة التي خوطبوا بها هي غير اللغة العربية، فحكاية اللفظ زائلة وتبقى حكاية المعنى؛ لذلك من أراد الإخبار عن معنى فإنه يخبر عنه بأي لفظ شاء، وبأي أسلوب

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص28_29.

2 ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي، ج1، ص238_239.

3 ينظر: ضياء السالك إلى أوضح المسالك، محمد عبد العزيز النجار، مطبعة السعادة، ط3، 1393هـ/ 1973م، ج4، ص132.

أراد، سواء **قدم** أو **أخر**، ولو قصد حكاية اللفظ ثم وقع اختلاف في الألفاظ لم يجز؛ نحو قولك: زيد وعمرو ذهبا؛ قاصدا حكاية اللفظ، ثم قلت مرة أخرى: عمرو وزيد ذهبا لم يجز لك ذلك؛ لأنك كنت قاصدا حكاية اللفظ وليس حكاية المعنى. لكن إن قصدت حكاية المعنى كان ذلك مرخصا لك[1].

ب- علة تقديم (النصارى) على (الصابئين) في آية البقرة، وتأخيرها في آية الحج

جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ [البقرة62]، وجاء في قوله في الحج: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١٧﴾ [الحج17]، وقال في المائدة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبُـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٩﴾[المائدة69]:

جرت العادة من العرب الفصحاء أنها إذا أرادت الإخبار عن مخبر ما، وأناطت به حكما قد يشاركه فيه غيره، أو يشاركه فيما أخبر به عنه، وتم عطف أحدهما على الآخر بالواو التي تقتضي عدم الترتيب، فإنهم مع ذلك يبدؤون بالأهم والأولى[2]« كأنهم إنما يقدمون الذي

1 ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي، ج1، ص238_239.

2 ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3، ص235.

بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يُهِمَّانِهم ويَعْنِيَانِهم»[1]، والنصارى أهل الكتاب فهم مقدمون على الصابئين في الرتبة؛ لذلك قدمهم في سورة البقرة،فالطوائف في سورة البقرة مرتبة حسب الكتب لذلك أخّر المجوس فهم لا كتاب لهم، والصابئون مقدمون على النصارى في الزمان لأنهم قبلهم؛ فقدمهم في الحج التي رتب فيها الطوائف حسب الأزمنة فقد راعى هنا السبق بالزمان والإيجاد؛ نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿68﴾ ﴾[آل عمران68]،[2]أما في المائدة فقد داعى بينهما فقدم الصابئين في اللفظ وأخرهم في التقدير؛ لأن التقدير: والصابئون كذلك، ففي المائدة جاء ترتيب الطوائف جامعا للترتيب بالكتب وبالزمان، لذا فإن تقديم الصابئين فيها على النصارى يدل على ترتيب الزمان[3]، وأما رفعها بين المنصوبات فيدل على نية تأخيرهم[4] والترتيب بالكتب السماوية.

ت- توجيه تقديم الجار والمجرور (به) في سورة البقرة، وتأخيرها في المائدة والأنعام والنحل

قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿173﴾ ﴾[البقرة173]، وقال أيضا: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ

1 ينظر: الكتاب، سيبويه، ج1، ص34.

2 ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3، ص239.

3 ينظر: البرهان، الكرماني، ص31.

4 ينظر: دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص106.

﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿3﴾﴾ [المائدة 3]، وقال أيضا:﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿145﴾﴾[الأنعام145]، وقال أيضا:﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿115﴾﴾[النحل115]:

قدم الجار والمجرور (به) في سورة البقرة لأن الباء للتعدية وتقديمها هو الأصل؛ وتسمى باء النقل أيضا وهي المعاقبة للهمزة في التعدية؛ نحو قولك: ذهب زيد، وذهبت بزيد، وأذهبته، فصارت الباء كالهمزة المزيدة في بنية الفعل فكانت أحق بالتقديم، ومنه قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿17﴾﴾ [البقرة17]، بمعنى: أذهب الله نورهم[1]، فكان الموضع الأول أولى بما هو أصل، ثم قدم في الآيات الأخرى من السور الموالية ما هو مستنكر من الذبح لغير الله لغرض الإخبار وتقديم ما هو غرض أولى وهو أن يكون المقدم محل اهتمام الخبر[2]. ولهذا

1 ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، ج1، ص107.

2 ينظر: البرهان، الكرماني، ص37.

جاز لك تقديم المفعول على الفعل إذا كنت ببيانه أعنى؛ نحو: ضرب زيداً عمرو، لأن الاهتمام بأمر المفعول (زيدا) أتمّ[1].

ففي الأولى كان الأولى القياس حين لم يكن هناك غرض من الإخبار فجاء البناء على الأصل وقدم باء التعدية، وحين كان الاهتمام بالإخبار عن استنكار الذبح لغير الله أخر باء التعدية وقدم الخبر (لغير الله) للعناية به.

3.سورة الأنعام

أ- الغاية من تقديم (اللعب) على (اللهو) في (الأنعام ومحمد والحديد)، وغاية تقديم (اللهو) على (اللعب) في (الأعراف والعنكبوت)

ورد في قوله تعالى:﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٣٢ ﴾[الأنعام32]، وورد في قوله أيضا:﴿ إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ٣٦ ﴾ [محمد36]، وقال:﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠ ﴾ [الحديد20]، وورد في قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٥١ ﴾[الأعراف51]، وجاء في قوله: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ

1 ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي، ج1، ص318.

﴿الدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿64﴾﴾[العنكبوت64]:

الواو وإن كانت تعطف ولا ترتب _فهي تفيد اشتراك المتعاطفين في الحكم_ إلا أن اللفظ في القرآن الكريم لا يتقدم ولا يتأخر إلا لحكمة، وما تقدم من الكلام « فتقديمه على حسب تقدم المعاني في الجنان، والمعاني تتقدم بأحد خمسة أشياء: إما بالزمان، وإما بالطبع، وإما بالرتبة، وإما بالسبب وإما بالفضل والكمال»[1] واللعب في العادة يكون في زمان الصبا، واللهو يكون في زمان الشباب، وقد تقدم اللعب على اللهو في أكثر المواضع لأن زمان الصبا مقدم على زمان الشباب؛ يبينه ما جاء في سورة الحديد[2]: (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب) كلعب الصبيان، و(لهو) كلهو الشباب، و(زينة) كزينة النساء، و(تفاخر) كتفاخر الإخوان، و(تكاثر) كتكاثر السلطان.

وقدم اللهو على اللعب في الأعراف لأن ذلك يوم القيامة وليس في الحياة الدنيا، فبدأ بما انتهى به الإنسان، وأما ما في العنكبوت فالمراد به ذكر زمان الدنيا وبيان سرعة انقضائه وأنه قليل البقاء، فبدأ بذكر اللهو لأن زمانه الشباب وهو أطول من زمان اللعب وهو زمان الصبا، ثم قال:﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿64﴾﴾[العنكبوت64]، أي أن الحياة الآخرة هي الحياة التي لا أمد لها ولا نهاية

1 نتائج الفكر في النحو، السهيلي (عبد الرحمن بن عبد الله)، تح عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ/1992م، ص209.

2 الحديد، الآية20.

لأبدها[1] فكان التقديم هنا باعتبار السبق بالشرف فالدار الآخرة هي دار البقاء بينما الدنيا فانية زائلة لا تعدل عند الله جناح بعوضة.

ب- توجيه تقديم (لا إله إلا هو) في آية الأنعام، وتأخيرها في آية غافر

جاء في قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿102﴾ ﴾[الأنعام102]، وجاء في قوله أيضا:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿62﴾ ﴾[غافر62]:

قدم قوله تعالى: (لا إله إلا هو) في سورة الأنعام باعتبار سبق ما يقتضي تقديمه وهو دلالة السياق[2]، فقد سبق قوله: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿102﴾ ﴾[الأنعام102] قوله:﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿100﴾ ﴾[الأنعام100]، وقوله أيضا:﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿101﴾ ﴾[الأنعام101]؛ إذ دفع قول القائلين بأن لله شركاء الجن، وأن جعلوا له البنين والبنات بقوله: (لا إله إلا هو)، فأكد وحدانيته وقطع عنه الشرك، لأن السياق في توحيد الربوبية ونفي الشرك ثم قال: (خالق كل شيء). أما في غافر فقد سبق ذكر الخلق في قوله تعالى:﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص62_63.

2 ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3، ص262.

﴿ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾ [غافر57]، وهنا خرج الكلام على إثبات خلق الناس لا على توحيد الربوبية ونفي الشرك فقال: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٦٢﴾ [غافر62]، وهكذا قدم في كل سورة ما يقتضيه ما ورد قبله من الآيات[1].

وإلى هذا التوجيه ذهب كل من الخطيب الإسكافي[2]، وابن الزبير الغرناطي[3].

4.سورة الأعراف

أ- علة تقديم (النفع) على (الضر) في آية الأعراف، وتقديم (الضر) على (النفع) في آية يونس

جاء في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾[الأعراف 188]، وجاء في قوله أيضا:﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٤٩﴾[يونس49]:

أغلب ما جاء في القرآن الكريم من ألفاظ النفع والضر جاء بتقديم الضر على النفع؛ وذلك أن العابد يعبد معبوده خوفا من عقابه أولا، ثم طمعا في ثوابه، قال تعالى:﴿يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا ١٦﴾[السجدة16]، فقد قدم الخوف من العقاب عن الطمع في الثواب، فما

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص67.

2 ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي، ج2، ص535_536.

3 ينظر: ملاك التأويل، الغرناطي، ص167_168.

جاء في آية سورة يونس من تقديم الضر على النفع جاء على الأصل، وموافقة لما جاء قبله من قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢ ﴾ [يونس12]، وقوله:﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ ﴾ [يونس18] وحيث جاء في القرآن الكريم لفظ النفع مقدما عن الضر فذلك لسابقة لفظ تضمّن النفع، وقد جاء ذلك في ثمانية مواضع؛ منها ما جاء بلفظ الاسم في (الأعراف، الرعد، وسبأ) ومنها بلفظ الفعل في (الأنعام، يونس، الأنبياء، الفرقان، الشعراء)؛ أما ما في سورة الأعراف فقد تقدمه قوله تعالى:﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٧٨ ﴾[الأعراف178]، فحين قدم الهداية عن الضلال قدم النفع عن الضر، وأما ما في الرعد من قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا ﴾ [الرعد16]، فقد سبقه: ﴿ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا ﴾ [الرعد15] قدم فيها الطوع، وأما ما في سبأ من قوله عز وجل: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ٤٢ ﴾ [سبأ42]، جاء قبله: ﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦ ﴾ [سبأ36] فقدم البسط في الرزق[1].

وكذلك الأمر لما جاء بلفظ الفعل فذلك لسابقة معنى يتضمن النفع؛ نحو: قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞۚ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص84.

مِنۡهَآ ﴾[الأنعام70] فأتبعها بقوله: ﴿ قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾[الأنعام71][1].

5.سورة المؤمنون

أ- علة تأخير الجار والمجرور (من قومه) في الأولى وتقديمهما في الثانية

ورد في قوله جل وعلا:﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤ ﴾[المؤمنون24]، وورد في قوله أيضا:﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ٣٣ ﴾ [المؤمنون33]:

العلة من تقديم وتأخير الجار والمجرور في الآيتين مرتبطة بالاسم الموصول (الذي) والذي يستخدم مع ما بعده للوصف والتعيين[2]، فالعلة في الآية الأولى تعود إلى أن صلة (الذين) اقتصرت على الفعل وضمير الفاعل وهو (كفروا)، فذكر بعدها الجار والمجرور والمفعول وهو جملة مقول القول:﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤ ﴾ [المؤمنون24]، أما في الآية الأخرى فإن صلة (الذين) طالت بذكر الفعل والفاعل والعطف عليه مرات فلم يجز الفصل بين الاسم الموصول

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص74_75.

2 ينظر: القواعد الأساسية في النحو والصرف، يوسف الحمادي وآخرون، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، (د ط)، 1994م، ص16.

والعائد عليه من صلته في قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [المؤمنون33]، لأن الاسم الموصول « لا ينعت ولا يؤكد ولا يعطف عليه، ولا يستثنى منه إلا بعد تمام صلته، لأنه مع صلته بمنزلة اسم واحد، ولا يصح معناه إلا بالعائد عليه من صلته، فَتَفَهَّم هذا الأصل»[1] ثم ذكر بعدها المفعول وهو المقول:﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ﴿33﴾ ﴾[المؤمنون33]، فقدم الجار والمجرور كي لا يلتبس فلو أخره لاحتمل أن يكون من مقول المؤمنين المترفين في معيشتهم[2]، وتقديم الجار والمجرور هنا لابد منه لأنه لا يجوز الفصل بين الصلة والموصول ولا الفصل بين بعض أجزاء الصلة بما ليس منها؛ نحو: (ضربت زيدا الذي قام أبوه)، فلا يجوز أن تقول: (ضربت الذي زيدا قام أبوه)، ولا: (ضربت الذي قام زيدا أبوه)، فتفصل بين الموصول (الذي) وصلته (قام أبوه) بما هو أجنبي عن الصلة، كما أنه لا يجوز أن يتبع الموصول ولا يخبر عنه إلا بعد تمام صلته، لأن الصلة والموصول كالشيء الواحد لذلك لا يجوز الفصل[3].

1 الجمل في النحو، الزجاجي، ص362.

2 ينظر: البرهان، الكرماني، ص234_235.

3 ينظر: المقرب ومعه مثل المقرب، ابن عصفور الإشبيلي، تح عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، ص94_95.

ب- وجه تأخير المفعول (هذا) في آية المؤمنين، وتقديمه في آية النمل

قال عز وجل:﴿ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿83﴾ ﴾[المؤمنون83]، وقال أيضا: ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿68﴾ ﴾ [النمل68]:

ما في سورة المؤمنين جاء على القياس لأن الضمير المرفوع المتصل في (وعدنا) لا يجوز العطف عليه حتى يؤكد بضمير منفصل (نحن) فأكده ثم عطف عليه (آباؤنا) وبعدها ذكر المفعول (هذا)، قال ابن مالك:

وَإِنْ عَلَى ضَمِيرِ رَفْعٍ مُتَّصِل عَطَفْتَ فَافْصِلْ بِالضَّمِيرِ المُنْفَصِلِ

ففي فعل الأمر (افصل) دلالة على وجوب الفصل بالضمير المنفصل، كقوله تعالى:﴿ لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ﴾، ف(آباؤكم) معطوف على ضمير الرفع المتصل بالفعل كان في (كنتم) وقد فصل بينهما ضمير الرفع المنفصل (أنتم)[1]، وهذا الفصل يدخل في باب التأكيد؛ لأن الضمير المتصل لا يجوز تأكيده بأي حال من الأحوال ومهما كان محله الإعرابي إلا بالضمير المنفصل؛ نحو قولك: (رأيته هو وأخاه)، (ومررت به هو وأخيه) و(قام هو وأخوه)[2].

1 ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، ج3، ص236_237.

2 ينظر: الخلاصة النحوية، تمام حسان، ج4، ص177.

أما في سورة النمل فقد قدم المفعول لمناسبة ما قبله في قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴿67﴾ ﴾ [النمل67] والقياس فيه: كنا نحن وآباؤنا ترابا، فهنا قدم ترابا ليسد مسد نحن[1].

6.سورة القصص

أ- وجه المعنى من تأخير الفاعل النكرة (رجل) في آية يس

ورد في قول الله جل وعلا: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿20﴾ ﴾[القصص20]، وورد أيضا قوله: ﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿20﴾ ﴾[يس20]:

خصت آية القصص بتقديم الفاعل (رجل) على القياس لأن الأصل في مرتبة الفاعل التقديم وأن يلي عامله، لكنه قد يتأخر جوازا نحو: (ولقد جاء آل فرعون النذر)، أو وجوبا نحو: (وإذ ابتلى إبراهيم ربه)[2]. وهو ما كان في آية يس إذ تأخر الفاعل جوازا وذلك لإحراز المعنى المقصود وهو الاهتمام ببيان حال الرجل (يسعى) فيكون الحال متصلا بالفاعل قريبا منه لا يفصل بينهما فاصل.

وهو ما ذهب إليه الكرماني في توجيه تقديم (رجل) في آية القصص بأنه ورد فيها قبل هذه الآية: ﴿ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ

1 ينظر: البرهان، الكرماني، 136.

2 ينظر: متن القطر المسمى قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري، دار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 1420هـ/1999م، ص21.

يَقْتَتِلَانِ ﴿15﴾ ﴾[القصص15]، ثم قال: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ ﴾[القصص20]، و﴿ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ ﴾ [القصص20] وصف للرجل؛ فقدم الجار والمجرور (من أقصى المدينة) الذي في محل رفع صفة للرجل لغاية هي الإخبار عن الرجل. أما آية سورة يس فخصت بالتأخير لأن المراد من الكلام الإخبار عن سعيه وليس عنه، إذ قيل إنه كان يعبد الله في جبل وعندما سمع خبر الرسل سعى مستعجلا[1].

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص144.

المبحث الرابع:

التوكيد

إن أسلوب التوكيد يرفع احتمال الشك والسهو في الكلام، فالعرب إذا أرادت المعنى مكنته واحتاطت له عن طريق اللفظ،وهو نوعان: لفظي: ومن ذلك التوكيد بتكرير الألفاظ؛ مثل: قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة، والله أكبر الله أكبر[1]، ومعنوي: باستعمال ألفاظ معينة نحو: نفس، عين، كلّ.

غير أن أسلوب التوكيد لم يلق حظا في تبويبات وتقسيمات النحاة لعناصر الجملة العربية إذ صنف من التوابع مما جعله أقل اهتماما من العناصر الأخرى، فدرسوه مقرونا بمباحث النحو الأخرى إلا ما حصروه في التوكيد اللفظي والمعنوي.

1.سورة الفاتحة

أ- توجيه تكرار قوله تعالى (الرحمن الرحيم):

جاء في قوله تعالى: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ﴾[الفاتحة1] وقال بعدها: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة3]:

قدّم الكرماني في توجيه تكرار قوله تعالى:﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾في الآية الأولى والآية الثالثة من سورة الفاتحة رأيين لنحويين هما: علي بن عيسى، وقاسم بن حبيب؛ إذ قال أولهما: إنّما كرر للتوكيد، مدعّما رأيه بقول الشاعر:

هَلَّا سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْـ دَةَ يَوْمَ وَلَّوْا أَيْنَ أَيْنَا؟[2]

1 ينظر: الخصائص، ابن جني، ج3، ص102.

2 البيت من الكامل، لعبيد بن الأبرص في ديوانه (ديوان عبيد بن الأبرص)، تح أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ/1994م، ص129.

أمّا قاسم بن حبيب فقال: إنّما كرر ذلك لأن المعنى: وجب الحمد لله فهو الرحمن الرحيم.

ثم قدّم توجيهه لهذا التكرار؛ وهو: أن الرحمة هي إنعام على المحتاج، فذكر المنعِم في الآية الأولى: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿1﴾ ﴾[الفاتحة1]، ولم يذكر المنعَم عليهم، فكرر الآية مرة أخرى وذكرهم جميعا (المنعِم والمنعَم عليهم) وقال: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿2﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿3﴾ ﴾ [الفاتحة2_3]، بمعنى ينعم عليهم ويرزقهم الرحمة ويغفر لهم[1]. فهذا التكرار هنا جاء لتقوية الكلام السابق وتثبيته ودفع الشبه عنه بإعادة اللفظ بعينه[2]، وإعادة اللفظ بعينه أسلوب من أساليب التأكيد اللفظي دلالة على الاعتناء بالمكرر؛ نحو قوله تعالى:﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ﴿21﴾ ﴾ [الفجر21]، إذ لا بد أن يكرر اللفظ الذي ظُنَّ غفلة السامع عنه، أو أن السامع ظن به الغلط فيه تكريرا لفظيا يدفع به المتكلمُ ضرر غفلة السامع عنه، ويدفع ظَنَّ السامعِ غلطَ المتكلم[3]؛ نحو قوله صلى الله عليه وسلم: (أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها، فنكاحها باطل باطل باطل)[4].

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص21_22.

2 ينظر: النحو المصفى، محمد عيد، مكتبة الشباب، القاهرة، (د ط)، 1975م، ص587.

3 ينظر: شرح الرضي على الكافية، الرضي الإستراباذي (محمد بن الحسن)، تح يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، 1996م، ج2، ص ص357_358.

4 ينظر: سنن الترمذي، الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى)، تح مركز البحوث وتقنية المعلومات، دار التأصيل، القاهرة، مصر، ط1، 1435هـ/2014م، ج2، ص321_322.

2.سورة البقرة

أ- العلة من التأكيد ب(كل) في آية الأنفال

قال جل وعلا: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣ ﴾ [البقرة193]، وقال أيضا: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩ ﴾[الأنفال39]:

علل الكرماني سبب زيادة (كل) في آية سورة الأنفال بأن القتال فيها بين المسلمين وجميع الكفار لقوله تعالى:﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَۖ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨ ﴾ [الأنفال38] فالأمر هنا ورد عاما بقتال جميع الكفار، لا بقتال طائفة دون أخرى، لذلك قيد الدين ب (كل)، بينما القتال المقصود في آية سورة البقرة مع أهل مكة فقط دل عليه النهي عن القتال عند المسجد الحرام في قوله تعالى: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١ ﴾ [البقرة191] لأنه وبقتل مشركي مكة لا يحصل أن يعم الدين كل مكان لذلك لم يقيد[1].

فلعل المقصود بقوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾[البقرة193] أن يكون الدين دين الله حيث هؤلاء القوم لا في كل مكان ولم يرد به الاتساع في المكان، وحينما أراد الاتساع والشمول أكد بلفظ (كل) لتقرير الإحاطة ورفع توهم عدم إرادة الشمول[2] فقال: ﴿وَيَكُونَ

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص40.

2 ينظر: شرح الرضي على الكافية، الرضي الإستراباذي، ج2، ص357.

ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال39] أي يكون دين الله في كل مكان، فأمرهم بأن يبطلوا كل كفر وجد في أي مكان دون تخصيص[1]. والتأكيد ب (كل) يستلزم اتصالها بضمير يعود على المؤَكَّد (وهو الهاء العائدة على الدين)، ويطابقه من حيث الإفراد والتثنية والجمع، ومن حيث التذكير التأنيث؛ نحو: جاءت القافلة كلها، أو جاء القوم كلهم، ويجب أن لا يؤكد ب(كل) إلا ما يقبل التجزئة؛ وما يقبل التجزئة نوعان: ما يتجزأ بنفسه مثل: الجيش والقبيلة فتقول: أقبل الجيش كله، والنوع الثاني ما لا يتجزأ بنفسه وإنما يتجزأ بعامله مثل: العبد فتقول: بعت العبد كله، فالعبد هنا لا يقبل التجزئة بنفسه لكن يتجزأ بالعامل وهو الفعل[2].

3. سورة آل عمران

أ- علة زيادة نون التوكيد في (تكوننَّ) وحذفها من (تكن)

جاء في قوله تبارك وتعالى: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿60﴾﴾ [آل عمران60]، وجاء في قوله أيضا: ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿147﴾﴾ [البقرة147]:

الخطاب في الآيتين للنبي صلى الله عليه وسلم، لكن المراد به غيره، وقد جاء هذا الخطاب في آية سورة آل عمران على الأصل لأنه لم يكن فيها ما يوجب إدخال نون التوكيد في الكلمة[3]، إذ الآيات التي قبلها تحكي حقيقة قصة نبي الله عيسى عليه السلام فخاطب الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بأن هذا هو الحق من ربك، فلا تستمع إلى كلام الكفار من يهود ونصارى يجعلك تشك في ذلك سواء في الحاضر أو في المستقبل وقال:

1 ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي، ص331_333.

2 ينظر: اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء العكبري، تح محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1420هـ/2009م، ص265.

3 ينظر: البرهان، الكرماني، ص47.

﴿فَلَا تَكُنۡ مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿60﴾﴾[آل عمران60][1]، وقد دل على زمن الحاضر والمستقبل الفعل المضارع (تكن) المتجرد من القرائن التي تحصر دلالته الزمانية؛ نحو قولك: (زيد يأكل) فيصلح أن يكون في حال أكل، أو يأكل فيما يستقبل[2].

أما في سورة البقرة فقد جاء الخطاب مؤكدا بنون التوكيد الثقيلة والتي حملت الفعل المضارع من دلالته المتأرجحة بين الحال والاستقبال إلى الدلالة على الاستقبال؛ لأن نون التوكيد الثقيلة « لا يؤكد بها إلا الفعل المستقبل الذي فيه معنى الطلب، وذلك ما كان قسما أو أمرا أو نهيا أو استفهاما أو عرضا أو تمنيا»[3]. فيصبح معنى الآية: لا تكن من الممترين في المستقبل، لأن فيها في أول القصة كلاما مؤكدا بنون التوكيد ولام القسم أيضا التي تحمل الفعل المضارع على الدلالة على الاستقبال في قوله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَا﴾ [البقر144]، مما أوجب إدخال النون في (تكونن) ليدل أيضا على المستقبل لأنه متصل بما قبله، فيصير تقدير الكلام: فلنولينك قبلة ترضاها فلا تكونَّ من الممترين[4].

ب- توجيه ذكر الضمير (هو) في آية سورة الزخرف، وحذفها في آيتي آل عمران ومريم

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿51﴾﴾[آل عمران 51]، وقال أيضا:﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿36﴾﴾[مريم 36]، وقال:﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿64﴾﴾[الزخرف64]:

1 ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيان معانيه، محمد حسن عثمان، ج2، ص112.

2 ينظر: المقتضب، المبرد، ج2، ص2.

3 شرح المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري، ج4، ص185.

4 ينظر: البرهان، الكرماني، ص47.

ناقش قضية الضمير المنفصل ابن يعيش في "شرح المفصل" ممثلا بقولك: (زيد هو قائم)؛ فيحتمل أن يكون تقدير المعنى: (زيد هو قائم وعمرو قائم)، فإذا قلت: (زيد هو القائم)؛ فإنك تكون قد خصصت القيام به، وهو كذلك في الآيات؛ لأن (هو) يرد في مثل هذه المواضع تأكيدا على أن المبتدأ مقصور على الخبر، وأن هذا الخبر مقصور عليه دون غيره[1].

كما أن ما ورد في آل عمران وقع بعد ورود عشر آيات من قصة مريم؛ بداية من قوله عز وجل: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿42﴾ ﴾[آل عمران42]، إلى قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿51﴾ ﴾[آل عمران51]، فقد تم تأكيد الربوبية في تلك الآيات، وليس كذلك في الزخرف التي ابتدأ الكلام فيها من آية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿64﴾ ﴾ [الزخرف 64]، لذا حسن تأكيد الربوبية بزيادة (هو) فيصير المبتدأ مقصورا على الخبر المذكور في الآية[2].

أما الغرناطي فقد ذهب إلى أن ما في آية الزخرف قد جاء مناسبا لما ورد قبله في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿58﴾ ﴾ [الزخرف 58]، فجاء قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ

1 ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش، ج3، ص110.

2 ينظر: البرهان، الكرماني، ص46_47.

﴿64﴾﴾[الزخرف64] فجاء الضمير (هو) مناسبا لإحراز معنى الربوبية لله وحده، وهو ما لم يكن في آيتي آل عمران ومريم[1].

4. سورة الأنعام

أ- الغاية من التأكيد باللام في قوله (لسريع العقاب) وعدم التأكيد في قوله (سريع العقاب)

ورد في قوله تعالى:﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿165﴾﴾ [الأنعام165]، وود في قوله كذلك: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿167﴾﴾ [الأعراف167]:

سقطت لام التوكيد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ ﴿165﴾﴾[الأنعام165] لأن الكلام جاء بغية التخويف فقط للمؤمنين لزجرهم عن ارتكاب المعاصي ولم يأت مؤكدا لأنهم ليسوا ممن يستحق العقاب فلذلك قيد قوله سبحانه وتعالى:﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام165] باللام ترجيحا للغفران على العقاب لأنه وقع قبله قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿160﴾﴾ [الأنعام160]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ بالأنعام165]، أما في سورة الأعراف فقد سبق قوله:﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۖ ﴿165﴾﴾ [الأعراف165]، وقوله: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ۖ

1 ينظر: ملاك التأويل، الغرناطي، ص86_87.

﴿166﴾[الأعراف166]، فقيد قوله: ﴿لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأعراف167] باللام تأكيدا لحصول العقاب وسرعة وقوعه، كما قيد قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأعراف167]، رحمة منه بالعباد وحتى لا يطغى جانب العذاب على جانب الرحمة والمغفرة[1]. كما أن الكلام في أول الآية جاء مؤكدا بلام القسم والنون الثقيلة في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [الأعراف167]، ف(ليبعثنَّ) جاء مؤكدا مرتين بلام القسم والنون الثقيلة، فجاء الكلام كله بأسلوب التوكيد تأكيدا للخبر المنبئ عن عقابهم وسوء مآلهم فقال: ﴿لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾[الأعراف167][2].

5. سورة الأعراف

أ-توجيه ذكر حرف الجر (الباء) في الآية الأولى في قوله (وبرسوله)، وحذفها في الآية الثانية

قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ٥٤﴾ [التوبة54]، وقال: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٨٠﴾ [التوبة80]، وقال بعدها:

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص70.

2 ينظر: ملاك التأويل، الغرناطي، ص176.

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿84﴾ ﴾[التوبة84]:

لما كان الكلام في أول الآية الأولى مؤكدا بالإيجاب بعد النفي ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ ﴾[التوبة54]، صار الخبر أوكد فكان تكرار الباء ضرورة لتأكيد المعطوف عليه **(وبرسوله)** حتى يكون الكلام كله على منهاج واحد، والإيجاب بعد النفي هو الغاية في باب التوكيد؛ ألا ترى أن قولك: (ما زيد إلا فاضل) أوكد من قولك: (زيد فاضل)، وأن قولك: (ما زيد إلا قائم) أوكد من قولك (زيد قائم)[1]، فالباء في (برسوله) زائدة للتوكيد وزيادتها هذه في الإعراب لا في المعنى لأنها جاءت لتأكيد الكلام[2] فتعرب حرف جر زائد، ألا ترى قول الشاعر:

بِحَسْبِكَ فِي القَوْمِ أَنْ يَعْلَمُوا بِأَنَّكَ فِيهِمُ غَنِيٌّ مُضِرُّ[3]

فقد زاد الباء في المبتدأ لكنها عاملة جارّة.

والحرف وإن كان زائدا فإنه لا بد عامل، كالباء هنا زائدة ومع ذلك هي عاملة، كما أنه من وجوه الاحتياط في الكلام إعادة العامل مع العطف، ألا ترى أن قولك: (مررت بزيد وبعمرو) أوكد معنى من قولك: (مررت بزيد وعمرو)[1]، وهذا هو وجه إعادة الباء مع (رسوله).

1 ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي، ج2، ص710.

2 ينظر: حروف الجر في العربية، عمر صابر عبد الجليل، دار الثقافة العربية، القاهرة، ط1، 1420هـ/2000م، ص126.

3 البيت من المتقارب، وهو للأشعر الرقبان الأسدي، ينظر، كتاب النوادر في اللغة، أبو زيد الأنصاري، تح محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، بيروت، ط1، 1401هـ/1981م، ص289.

وخلو الآيتين الأخريين من الإيجاب بعد النفي في قوله تعالى:﴿ إِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿80﴾ ﴾[التوبة80]،وقوله:﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿84﴾ ﴾[التوبة84]،ناسبه عدم تكرار الباء لأن المعطوف عليه لم يحتج إلى تأكيد ليكون الكلام على منهاج واحد[2].

6.سورة الكهف

أ- علة عدم تأكيد الضمير في الأولى، وتأكيده في الثانية

جاء في قوله عز وجل: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿72﴾ ﴾ [الكهف72]، وجاء في قوله: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿75﴾ ﴾ [الكهف75]:

أكد الضمير المتصل في الآية الثانية في قصة الغلام بضمير متصل (لك)، ولم يؤكده في قصة السفينة التي هي الأولى في الترتيب، وذلك فيه دلالة على تأكيد الملامة والزيادة في العتاب؛ كما لو أتى المرء ما نهيته عنه فعاتبته ولمته، ثم أتاه مرة أخرى، ألن تزيد في عتابه؟ فكذلك هنا؛ لامه في الأولى بقوله: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿72﴾ ﴾ [الكهف72]، وقال في الملامة الثانية: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ

1 ينظر: الخصائص، ابن جني، ج3، ص106_111.

2 ينظر: البرهان، الكرماني، ص78.

صَبۡرٗا ﴿75﴾ ﴾[الكهف75][1]، على تقدير قولك: لك أقول، وإياك أعني؛ لأن الإنكار فيها أكثر فأكد، كما أنه بيَّن المقول له لمّا لم يبيِّنه في الأول[2].

7. سورة غافر

أ- علة التأكيد باللام في قوله (لآتية)، وعدم التأكيد في قوله (آتية)

ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿59﴾ ﴾ [غافر59]، وورد في قوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿15﴾ ﴾ [طه15]:

تزاد اللام لتأكيد الخبر، وتأكيد الخبر لا يكون إلا إذا كان المخبَر شاكا في الخبر والمخبرون في سورة غافر هم الكفار لذلك أكد بلام الابتداء المحققة لما يأتي بعدها وقد تأخرت اللام هنا وحقها أن تدخل على أول الكلام لأن لها الصدارة؛ نحو: (إنَّ زيدا قائم) لكن لما كانت اللام للتأكيد وإنّ للتأكيد كرهوا التقاءهما فأخروا اللام وقالوا: (إنّ زيدا لقائم)[3] فكان أن تأخرت في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ﴾ [غافر59] ليزيد بشكل كبير في تأكيدها، كما أكد قبلها قوله: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿57﴾ ﴾ [غافر57] بحرف اللام أيضا[4].

---

1 ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير (ضياء الدين)، تح أحمد الحوفى وبدوى طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ج2، ص188.

2 ينظر: البرهان، الكرماني، ص122.

3 ينظر: شرح ابن عقيل، ابن عقيل، ج1، ص 363.

4 ينظر: البرهان، الكرماني، ص 168_169.

8. سورة التكاثر

أ- علة تكرار (ترون) وعطفها

قال تعالى: ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝٦ ﴾[التكاثر6]، وقال بعدها: ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ۝٧ ﴾ [التكاثر7]:

هذا التكرار تكرار للتأكيد عند بعضهم، وعند بعضهم: الأول قبل الدخول، والثاني بعد الدخول لذلك قال: (عين اليقين) أي أعيانا لستم عنها بغائبين، كما قيل أن الأول من رؤية القلب، والثاني من رؤية العين[1].

وبما أن المكرر في التوكيد اللفظي في الآيتين جملة (ترون) فقد اقترنت بالعاطف الذي يدل على أن الإنذار الثاني أبلغ وأشد[2]؛ نحو قوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٤ ﴾ [التكاثر3_4]، لأن التكرار إذا كان جملة فالأكثر اقترانها بالعاطف، ولم يصرح النحاة بعطف الجملة المؤكدة على الجملة التي قبلها بغير حرف (ثم)، إذ لم يمثلوا للعطف في الجمل المؤكدة بالتكرار إلا بهذا الحرف؛ نحو: ﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٥ ﴾[النبأ4_5]، ونحو: ﴿ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ۝٣٥ ﴾ [القيامة34_35][3].

---

1 ينظر: البرهان، الكرماني، ص 202.

2 ينظر: أساليب بلاغية، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980م، ص234.

3 ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، ج3، ص336.

خـــاتـــمـــة

خاتمة:

لقد تشرف هذا البحث بارتباطه بالقرآن الكريم باعتباره بحثا لغويا متعلقا أشد ما تعلق بأول وأصح مصادر الاحتجاج في النحو العربي، وبعد دراستنا لمسائل الصرف والنحو، ومعرفة كيفية تأثيرها على المعنى العام للآيات المتشابهات الألفاظ في القرآن الكريم من خلال كتاب "البرهان في توجيه متشابه القرآن" لبرهان الدين الكرماني، توصل هذا البحث إلى مجموعة من النتائج العامة نذكر منها:

بالإضافة إلى كون التشابه اللفظي في القرآن الكريم يحيل على معانٍ مختلفة، فهو إظهار لإعجاز القرآن الكريم في لفظه ومعناه، وذلك لما يحويه من الأسرار البيانية، والنكات البلاغية، واتساع آفاقها الدلالية.

رغم استفادة الكرماني في كتابه "البرهان" من كتاب "درة التنزيل وغرة التأويل" للإسكافي وسيره فيه على منهجه في ترتيب الكتاب حسب ترتيب السور في المصحف الشريف، إلا أنه انفرد بذكر وتوجيه الكثير من الآيات التي أغفلها صاحب الدرة معتمدا على مبدأ الإيجاز والاختصار.

توجيه المتغيرات الصرفية والنحوية ضمن المعنى والسياق هو الأنسب لها، فللسياق دور بارز في تحديد الفرق في المعنى بين الصيغ الصرفية والتراكيب النحوية المتشابهة؛ لأن الاعتماد على الأوزان والقواعد وحدها لا يكفي للتفريق بين معانيها فنعمد إلى السياق لتحديد معنى كل صيغة وتركيب.

أظهرت لنا المتشابهات اللفظية في القرآن الكريم أنه أكثر تعبير تتمظهر من خلاله المقولة البلاغية "لكل مقام مقال"، مما يؤكد انتفاء الترادف عن القرآن الكريم وأن كل لفظ ورد فيه إنما استعمل ليؤدي معنى دقيقا يختلف عن المعنى الذي يؤديه اللفظ المشابه له.

في أثناء دراستنا لمسائل الصرف والنحو في كتاب "البرهان" اكتشفنا أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال توجيه المتشابه اللفظي بالاعتماد على المعطيات التي يقدمها علم من العلوم وحسب، وإنما تتداخل علوم اللغة والبلاغة والفقه والتفسير والسياق حتى يتمكن الموجه من الوصول إلى المعنى، ولذلك كنا نرجع إلى مصادر العلوم الأخرى حتى نتمكن من توجيه المسائل الصرفية والنحوية، فهذه العلوم حتى وإن فصلت وتخصصت إلا أنها تتحد لخدمة القرآن الكريم واللغة العربية.

تعددت وتنوعت المتشابهات اللفظية في القرآن الكريم بإسقاطها على المسائل الصرفية والنحوية، فكان من النتائج الخاصة التي توصل إليها البحث:

للحروف دلالاتها الخاصة وتلك الدلالة تبقى ناقصة قبل دخولها في التركيب، فإذا وضعت فيه انتقلت من تحقيق دلالتها الخاصة إلى الاشتراك في تحصيل الدلالة العامة للتعبير، وهذا هو السبب في تناوبها بين التراكيب المتشابهة وذلك يكون حسب السياق والغرض الدلالي المقصود.

صيغة التفضيل (الأفعل) تدل على إطلاق مضمونها على الموصوف بها، فهي صفة كاملة متجرّدة من الموازنة، نحو قوله تعالى:﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿22﴾﴾[هود22].

قد تواجه قارئ القرآن مشكلة في فهمه له عندما لا يجد تطابقا بين اللفظ وما يتبعه من وصف وغيره، فعمد النحاة والبلاغيون والمفسرون إلى وضع حلّ لهذه المشكلة بجعل هذا النص مفتوحا على تأويلات مختلفة من خلال حمله على المعنى، وهو كثير في كلام العرب الذين ينزلون اللفظ منزلة غيره في مختلف ضروب كلامهم، ومن أساليب الحمل على المعنى

في القرآن الكريم: تأنيث المذكر وتذكير المؤنث، وتصور معنى الواحد في الجماعة والعكس حملا على المعنى.

الجمع يكسب الاسم تأنيثا وتأنيثه غير حقيقي فهو تأنيث للفظ لا للمعنى، وهو أسلوب من أساليب الحمل على المعنى ومراعاته أقوى من مراعاة اللفظ؛ ومنه: جمع الكثرة فنجد العرب أنثوا الألفاظ على إرادة الجماعة فالجماعة مؤنثة.

لا يتفاضل النكرة والمعرفة في كونهما يعبران عن العام والخاص بل يتفاضلان من حيث تكوين المعنى تبعا لاختلافهما في الدلالة.

المعنى هو السبيل إلى معرفة التقديم والتأخير، فقد يرد اللفظ مقدما ويراد به التأخير، وقد يرد مؤخَّرًا والمراد منه التقديم، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿69﴾ ﴾**[المائدة69]** فرفع (الصابئين) بين المنصوبات في هذه الآية دليل على نية تأخيرهم.

أسلوب الحذف في القرآن الكريم ليس هدفا للإيجاز والاختصار، فالقرآن غني بالتعبيرات الموجزة دون أن يكون الحذف سبيلا إلى ذلك, وإنما للحذف أغراض دلالية إذ لا يقتصر فهم النص القرآني على ظاهر الألفاظ وحسب وإنما يجب فهم العنصر المحذوف واستخراج المعاني الكامنة، وهذا يُلزم الموجِّه الاعتماد على دليل عقلي إضافة إلى السياق.

في ذكر اللفظ مع جواز حذفه معانٍ لا تستفاد إذا حذف؛ نحو: إياك نعبد وإياك نستعين إذ يجوز حذف (إياك) الثانية لكن عندها ستنتفي خصوصية الاستعانة.

وجدنا أن أسلوب التوكيد في القرآن الكريم كثيرا ما يرد عندما يكون المخاطَبون به هم الكفار، وهو ما يثبت أن العلاقة بين المتكلم والمخاطَب هي التي تتحكم في طريقة التعبير وبنية الجملة، فأسلوب التوكيد تعبير يعمد إليه المتكلم عند تشكيك المخاطَب في الخبر، كما يتحكم في نوع التأكيد وكميته وأدواته درجة التردد في قبول الخبر من طرف المخاطَب.

تعددت أشكال التوكيد في القرآن الكريم وتعدّت ما حصره النحاة في التوكيد اللفظي والمعنوي، فقد ضم أدوات خرجت عن معانيها الأصلية لتحقق معنى آخر هو التوكيد ك: الباء، وضمير الفصل، مما يوجب علينا إعادة النظر في هذا التقسيم، وإعطاء التوكيد حقه من الدراسة، ما يثبت صحة رأي قلة من النحاة في أن التوكيد لا يمكن حصره في اللفظي والمعنوي فقط، بل يتجاوزهما إلى أساليب أخرى.

هذا وتبقى عدة قضايا ومواضع من المتشابه اللفظي في القرآن الكريم في انتظار البحث والدراسة من أجل توجيهها خدمة للقرآن الكريم واللغة العربية.

ملخّص

ملخص:

يتناول هذا البحث الموسوم "مسائل الصرف والنحو في كتاب البرهان للكرماني وأثرها في توجيه معنى المتشابه اللفظي" مسألة تبيان كيفية تأثير القضايا الصرفية والنحوية في المعنى العام للآيات المتشابهات الألفاظ في القرآن الكريم، وكيف أنها تعمل على الفصل في قضية تشابهها من خلال رصد الدلالة المتنوعة لمواضع المتشابه اللفظي المجموعة في كتاب "البرهان" للكرماني؛ وذلك بدراسة وتحليل مسائل الصرف والنحو كالصيغة، والتقديم والتأخير وغيرها من المسائل المتناثرة في هذا الكتاب التي قمنا بتصنيفها في مباحث وفق تقسيم كبير يضم المسائل المتقاربة لتسهيل دراسة وتحليل آيات المتشابه اللفظي، ثم الرجوع إلى المصادر اللغوية التي تتحدث عن القضية الصرفية أو النحوية المتضمنة في الآية واستخراج قاعدتها النحوية، وبعدها العودة إلى كتب توجيه المتشابه اللفظي وعلى رأسها كتاب "البرهان" وكتب التفسير، والمقاربة بين ما ورد في المصادر وربطها بالمعنى للوصول إلى توجيه مقنع يثبت اختلاف معنى المتشابهات انطلاقا من اختلاف المسائل الصرفية والنحوية، سعيا إلىاستظهار الصلة والأسباب الخفية بين علمي (الصرف والنحو) والمعنى، وكذاإبراز التنوع في السمات اللغوية المستعملة في النظم القرآني لتحقيق أغراض دلالية ومقاصد بلاغية. وكان ذلك بالاعتماد على المنهجينالوصفي والتحليلي؛ إذ يقوم البحث على شرح وتحليل المعطيات على ضوء ما توفره كتب النحو والمتشابه اللفظي تحليلا موضوعيا قصد استنباط القضايا والأحكام. لنصل في الأخير إلى تحقيق مجموعة من النتائج منها: توجيه المتغيرات الصرفية والنحوية ضمن المعنى والسياق هو الأنسب لها، فللسياق دور بارز في تحديد الفرق في المعنى بين الصيغ الصرفية والتراكيب النحوية المتشابهة؛ لأن الاعتماد على الأوزان والقواعد وحدها لا يكفي للتفريق بين معانيها فنعمد إلى السياق لتحديد معنى كل صيغة وتركيب.

الكلمات المفاتيح: المعنى؛ التوجيه؛ المتغيرات؛ المسائل؛ الصرف؛ النحو.

The Summary:

This research discusses " The issues of morphology and syntox in the book of " Proof " by Elkirmani and their impacts on the guidance (Orientation) of the meaning of the verbal similarity " deals with the issue of how "morphological and grammatical" affect the general meaning of the verses of similare expressions in the holy coran, and how they work on show the issue of thier similarity by observing the diverse significance of the verbal similitude positions gathered in the book of "Alburhan" by kirmani, all this via studying and analysing the issues of morphology and grammar, such as the formula, advancing and the delay, and other scattere issues in the book which are classified in researches according to big division which includes approximated issues to facilitate the study and the analysis of verses of the verbal analogy then return to the linguistic sources that talk about the morpholigical or grammatical issue included in the verse and deriving its grammatical bosis and comeback to the books that guiding the verbal analogy, especially the book of "alburhan" and other ones of the explanation and the approoch between that mentionned in the sources and linking them with the meaning in order to reach a convincing guide that proves the difference of the meaning of the similarities based on different morpholigical and grammatical issues. Ti bring the link and hidden causes between science (morphology and gramar) and the meaning and also ti highlight the diversity in the linguisticfeatures used in the Quranic systems to achieve semantic and rhetorical purposes. That was depending on the descriptive and analytical approaches, the resarch explains and analysis the data according to what grammatical and syntax books provide in order to derive issues and rules to reach finally a group of results as: guiding morphological and grammatical varriables within the most suitable and appropriate context for it, which has a prominent role indetermining the difference in meaning between morphological

forms and similar grammatical stuctures. Becouse relying on weights and grammar alone is not enough to make a difference between their meaning, si we resort to the context to determine the meaning ofeach formula and composition.

Key words: the meaning, the orientation, the varriable, the issues, morphology, the grammar.

Résumé:

Cette recherche intitulée "questions de la grammaire et de la syntaxe dans le livre Al-burhan par Al-kirmani et leur impact sur l'orientation du sens de la similitude verbale" traite la question de démontrer comment les grammaticales et syntaxique affectent les sens général des versets similaires dans le saint coran, et comment ils travaillent pour trancher sur la question de leur similitude en détectant les différentes significations des position des similitudes verbales recueillies dans le livre Al-burhan par Al-kirmani; et ce à travers l'étude et l'analyse des questions grammaticales et syntaxiques à l'exemple de la formule, l'avancement et le décalage et d'autres questions éparpillées dans ce livre, que nous avons classifié dans des thèmes de recherche selon une grande classification comprenant des questions convergentes afin de faciliter l'étude et l'analyses des versets des similitudes verbales, puis se référer aux sources linguistiques qui parlent de la question syntaxique ou grammaticale incluse dans le verset, extraire sa règle grammaticale, puis revenir aux livres de l'orientation du similitude verbale, à leur tête le livre (Al-burhan) et les livres d'interprétation, et l'approche entre ce qui est énoncé dans les sources et les relier au sens pour atteindre une orientation persuasive qui démontre la divergence de signification des similitudes à partir de la multiplicité des questions syntaxiques et grammaticales, dans un effort montrant le lien et les raisons invisibles entre les deux sciences (syntaxe et grammaire) et le sens, et aussi mettre en évidence la

diversité des caractéristiques linguistiques utilisées dans les règles coranique pour atteindre des buts sémantiques et des objectifs rhétoriques. En adoptant les méthodes descriptive et analytique; cette recherche se base sur l'explication et l'analyse des données à la lumière de ce qui est fourni par les livres de grammaire et les similitudes verbales par une analyse objective afin d'en déduire les questions et les jugements. Pour arriver à la fin à réaliser un ensemble de résultats, parmi elles: orienter les variables syntaxiques et grammaticales dans le sens et le contexte le plus approprié, car le contexte a un rôle éminent dans la détermination de la différence de sens entre les formules syntaxiques et les structures grammaticales similaires, parce qu'il ne suffit de se baser uniquement sure les analogies et les règles pour pouvoir distinguer entre leurs significations, donc on fait recours au contexte pour déterminer le sens de chaque formule et composition.

Mot-clés: sens, orientation, variables, questions, syntaxe, grammaire.

قـــائمة

المـــصادر والمـــراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

قائمة المصادر والمراجع

1. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تح مركز الدراسات القرآنية، (د ط)، (د ت).

2. ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، تح رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1418هـ/1998م.

3. أساس البلاغة، الزمخشري (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ/ 2006م.

4. أساليب بلاغية، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980م.

5. استدراك ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات، سعد عبد العظيم محمد، دار بان الجوزي، القاهرة، مصر، ط1، 143هـ/2015م.

6. أسئلة بيانية في القرآن الكريم، فاضل صالح السامرائي، مكتبة الصحابة، الإمارات، ط1، 1429هـ/2008م.

7. أسرار العربية، الأنباري (أبو البركات)، تح محمد بهجة البيطار، (د ط)، (د ت).

8. الأشباه والنظائر في النحو، السيوطي (جلال الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).

9. الإعجاز البلاغي لتحولات النظم القرآني في المتشابه من الألفاظ والتراكيب، أحمد محمد أمين إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011م.

10. إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، دار ابن كثير، دمشق، ط7، 1430هـ/1999م.

11. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).

12. الآيات المتشابهات، عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، دار التدمرية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1430هـ/2009م.

13. البرهان في توجيه متشابه القرآن، الكرماني (برهان الدين أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر)، تح وتع السيد الجميلى، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، (د ط)، (د ت).

14. البرهان في توجيه متشابه القرآن، الكرماني، تح عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1406هـ/1986م.

15. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د ط)، (د ت).

16. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط2، 1399هـ/ 1979م.

17. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، ط2، 1427هـ/2006م.

18. البيان في غريب إعراب القرآن، أبو البركات الأنباري، تح طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د ط)، 1400هـ/1980م.

19. تاريخ القرآن، عبد الصبور شاهين، نهضة مصر، مصر، ط3، مارس2007م.

20. التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي، تح حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 14018هـ/1997م.

21. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، تح محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (د ط)، 1387هـ/1967م.

22. التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي (أبو القاسم محمد بن أحمد)، تح محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ/1995م.

23. التطبيق النحوي، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط2، 1420هـ/200م.

24. تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تح عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ/1993م.

25. تفسير البغوي معالم التنزيل، البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود)، تح محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، (د ط)، 1409هـ.

26. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، (د ط)، 1984م.

27. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د ط)، (د ت).

28. تفسير الكشاف، أبو القاسم جار الله الزمخشري، تح خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 1430هـ/2009م.

29. التكميل في شرح كتاب التسهيل، أبوحيان الأندلسي، تح حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1419هـ/1998م.

30. تيسير المنان في جمع متشابه ألفاظ القرآن، أبو معاذ حسين بن محمد زينهم بن محمد وأم معاذ ألفت بنت محمد بن عبد الدايم، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط2، 1436هـ/2015م.

31. الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود صافي، دار الرشيد، دمشق، بيروت، ط3، 1416هـ/1995م.

32. الجمل في النحو، الزجاجي (عبد الرحمن بن إسحاق)، مؤسسة الرسالة، ط1، 1404هـ/1984م.

33. الجنى الداني في حروف المعاني، الحسين بن قاسم المرادي، تح فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ/ 1992م.

34. حروف الجر في العربية، عمر صابر عبد الجليل، دار الثقافة العربية، القاهرة، ط1، 1420هـ/2000م.

35. حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه، محمود سعد، (د ط)، (د ت).

36. حروف المعاني، الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق)، تح علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406هـ/1986م.

37. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، (د ط)، (د ت).

38. الخصائص، ابن جني، تح محمد علي النجار، المكتبة العلمية، (د ط)، 1371هـ/ 1952م.

39. الخلاصة النحوية، تمام حسان، عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، ط1، 1420هـ/2000م.

40. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي (أحمد بن يوسف)، تح أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د ط)، (د ت).

41. دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب "ملاك التأويل"، السّامرّائي (محمد فاضل صالح)، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ط1، 1437هـ/2016م.

42. درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني)، تح محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ/ 2001م.

43. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د ط)، (د ت).

44. دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن صالح الفوزان، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط1، 1999م.

45. ديوان ابن زيدون، ابن زيدون (أحمد بن عبد الله المخزومي)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1415هـ/ 1994م.

46. ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، حسان بن ثابت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ/1994م.

47. ديوان عبيد بن الأبرص، عبيد بن الأبرص، تح أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1414ه/1994م.

48. رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي، أحمد بن عبد النور، تح أحمد محمد الخراط، مجمع اللغة العربية، دمشق، (د ط)، (د ت).

49. زمن الفعل في اللغة العربية قرائنه وجهاته، عبد الجبار توامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 1994م.

50. سنن الترمذي، الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى)، تح مركز البحوث وتقنية المعلومات، دار التأصيل، القاهرة، مصر، ط1، 1435ه/2014م.

51. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل (بهاء الدين)، دار التراث، القاهرة، مصر، ط20، 1400ه/1980م.

52. شرح التسهيل، ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله)، تح عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، هجر للطابعة والنشر والتوزيع، ط1، 1410ه/1990م.

53. شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله الأزهري، مطبعة الإستقامة، مصر، ط1، 1374ه/1954م.

54. شرح الرضي على الكافية، الرضي الإستراباذي (محمد بن الحسن)، تح يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، 1996م.

55. شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، الرضي الإستراباذي، تح يحي بشير مصري، الإدارة العامة للثقافة والنشر بالجامعة، ط1، 1417ه/ 1996م.

56. شرح القصيدة الكافية في التصريف، جلال الدين السيوطي، تح ناصر حسين علي، المطبعة التعاونية، دمشق، (د ط)، 1409 هـ/ 1989م.

57. شرح المفصل في صنعة الإعراب، القاسم بن الحسين الخوارزمي، تح عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.

58. شرح المفصل، موفق الدين بن يعيش، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، (د ط)، (د ت).

59. شرح المكودي على الألفية في علمي الصرف والنحو، تح عبد الحميد هنداوي، المكتبة العرية، بيروت، لبنان، (د ط)، 1425هـ/2005م.

60. الصاحبي في فقه اللغة، أحمد بن فارس، تح السيد أحمد صقر، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، (د ط)، (د ت).

61. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (إسماعيل بن حمّاد)، راجعه واعتنى به: محمد محمد تامر، أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، (د ط)، 1430هـ/2009م.

62. ضياء السالك إلى أوضح المسالك، محمد عبد العزيز النجار، مطبعة السعادة، ط3، 1393هـ/ 1973م.

63. غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي (ابن الجزري الدمشقي الشافعي)، تح ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.

64. غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرماني، تحشمران سركال يونس العجلي، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، (د ط)، (د ت).

65. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريا الأنصاري، تح بهاء الدين عبد الموجود محمد، راجعه علي معبد فرغلي، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، (د ط)، (د ت).

66. الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمذاني، تح محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان للنشر والتوزيع، ط1، 1427هـ/2006م.

67. الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، مطبعة العاتي، بغداد، (د ط)، 1386هـ/1966م.

68. الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، 1409هـ/1989م.

69. الفهرست، ابن النديم (محمد بن إسحاق)، تح ناهد عباس عثمان، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة، ط1، 1985م.

70. في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1406هـ/1986م.

71. قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية: نقد مطاعن، ورد شبهات، فضل حسن عباس، دار الفتح، عمان، الأردن، ط1، 1421هـ/2000م.

72. القواعد الأساسية في النحو والصرف، يوسف الحمادي وآخرون، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، (د ط)، 1994م.

73. كتاب الأزهية في علم الحروف، علي بن محمد الهروي، تح عبد المعين الملوحي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ط2، 1413هـ/1993م.

74. كتاب العين، الفراهيدي (الخليل بن أحمد)، تح مهدي المخزومي _إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، (د ط)، (د ت).

75. الكتاب، سيبويه (عمرو بن عثمان)، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1402ه/1982م.

76. الكتاب، سيبويه، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408ه/1988م.

77. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله (حاجي خليفة)، اعتنى به محمد شرف الدين يالتقايا، ورفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).

78. كشف المعاني في المتشابه المثاني، ابن جماعة (بدر الدين محمد بن إبراهيم)، تح ناصر بن علي القطامي، آيات للنشر والتوزيع، ط2، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1432ه.

79. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي (أيوب بن موسى الحسيني)، تح عدنان درويش ومحمد المضري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1413ه/1993م.

80. اللباب في تهذيب الأنساب،ابن الأثير الجزري (عز الدين)، مكتبة المثنى، بغداد، (د ط)، (د ت).

81. اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء العكبري، تح محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1420ه/2009م.

82. اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب، محمد علي السراج، تح خير الدين باشا، دار الفكر، دمشق، ط1، 1403هـ/1983م.

83. لسان العرب، ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) ، دار صادر، بيروت، لبنان، طبعة جديدة، (د ت).

84. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، المغرب، (د ط)، 1994م.

85. متشابه القرآن العظيم، ابن المنادي (أبو الحسن أحمد بن جعفر)، تح عبد الله بن محمد الغنيمان، مكتبة لينة للنشر والتوزيع، (د ط)، 1414هـ/1993م.

86. المتشابه اللفظي في القرآن الكريم "دراسة تحليلية"، وليد محمد عبد العزيز الحمد، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، العدد96، السنة29، 1435هـ/2014م.

87. المتشابه اللفظي في القرآن الكريم _دراسة نقدية بلاغية_، مشهور موسى مشهور مشاهرة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1431هـ/2010م.

88. المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، صالح بن عبد الله الشثري، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (د ط)، 1425هـ.

89. متن القطر المسمى قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري، دار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 1420هـ/1999م.

90. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير (أبو الفتح ضياء الدين)، تح محمد محي الدين عبد الحميد ومصطفى البابي الحلبي، القاهرة، (د ط)، 1358هـ/1939م.

91. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير (ضياء الدين)، تح أحمد الحوفى وبدوى طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د ط)، (د ت).

92. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني (أبو الفتح عثمان)، تح علي النجدي ناصف وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار سزكين للطباعة والنشر، ط2، 1406هـ/1986م.

93. مختار الصحاح، الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر)، مكتبة لبنان، بيروت، (د ط)، (د ت).

94. المذكر والمؤنث، ابن الأنباري (أبو بكر)، تح محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، (د ط)، 1401هـ/1981م.

95. المشاكلة بين واو الحال وواو المصاحبة في النحو العربي، عبد الجبار فتحي زيدان، مكتبة الجيل العربي، الموصل، العراق، ط1، 1430هـ/2009م.

96. معاني الحروف، الرماني (علي بن عيسى)، تح عرفان بن سليم العشا حسّونة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1426هـ/ 2005م.

97. معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم)، تح عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ/1988م.

98. معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1420هـ/2000م.

99. معجم البلدان، ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله)، دار صادر، بيروت، (د ط)، (د ت).

100. المعجم المفهرس للتراكيب المتشابهة لفظا في القرآن الكريم، محمد زكي محمد خضر، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1422هـ/2002م.

101. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تح مازن المبارك وحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، 1368هـ/1964م.

102. مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، طاش كبرى زاده (أحمد بن مصطفى)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1405،1هـ/1985م.

103. مفتاح العلوم ، السكاكي (يوسف بن محمد بن علي)، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/2000م.

104. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد)، تح وتع مصطفى بن العدوي، مكتبة فياض للتجارة والتوزيع، ط1، 1430هـ/ 2009م.

105. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مكتبة نزار مصطفى الباز، (د ط)، (د ت).

106. المفصل في علم العربية، الزمخشري، تح فخر صالح قدارة، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1425هـ/2004م.

107. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، مراجعة وتع أنس محمد الشامي، دار الحديث، القاهرة، 1429هـ/ 2008م.

108. المقرب ومعه مثل المقرب، ابن عصفور الإشبيلي، تح عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).

109. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل، ابن الزبير الغرناطي (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الثقفي)، تح عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).

110. من أسرار البيان القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ط2، 1440هـ/2019م.

111. من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، محمد بن علي بن محمد الصامل، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ/2001م.

112. الموجز في قواعد اللغة العربية، سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د ط)، 1424هـ/2003م.

113. نتائج الفكر في النحو، السهيلي (عبد الرحمن بن عبد الله)، تح عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ/1992م.

114. النحو التطبيقي، خالد عبد العزيز، دار اللؤلؤة، مصر، ط1، 1439هـ/2018م.

115. النحو المصفى، محمد عيد، مكتبة الشباب، القاهرة، (د ط)، 1975م.

116. النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر،، ط3، (د ت).

117. نظم الدرر في تناسب الآي والسور، البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د ط)، 1404هـ/1984م.

118. النوادر في اللغة، أبو زيد الأنصاري، تح محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، بيروت، ط1، 1401هـ/1981م.

119. هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب، السّخاوي (علمُ الدين أبو الحسن علي بن محمد)، تح عبد القادر الخطيب الحسني، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ/1994م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ_خ
الفصل الأول: المتشابه اللفظي وكتاب "البرهان" لبرهان الدين الكرماني	61_12
المبحث الأول: المتشابه اللفظي	42_14
المبحث الثاني: برهان الدين الكرماني	47_43
المبحث الثالث: "البرهان في توجيه متشابه القرآن"	61_48
الفصل الثاني: مسائل الصرف في كتاب "البرهان" للكرماني وأثرها في توجيه معنى المتشابه اللفظي	116_62
المبحث الأول: الصيغة	94_64
المبحث الثاني: التذكير والتأنيث	105_95
المبحث الثالث: التعيين (التعريف والتنكير)	116_106
الفصل الثالث: مسائل النحو في كتاب "البرهان" للكرماني وأثرها في توجيه معنى المتشابه اللفظي	184_117
المبحث الأول: الأداة	132_119
المبحث الثاني: الذكر والحذف	154_133
المبحث الثالث: التقديم والتأخير	171_155

المبحث الرابع: التوكيد	184_172
خاتمة	189_185
ملخص	194_190
قائمة المصادر والمراجع	208_195
فهرس الموضوعات	211_209